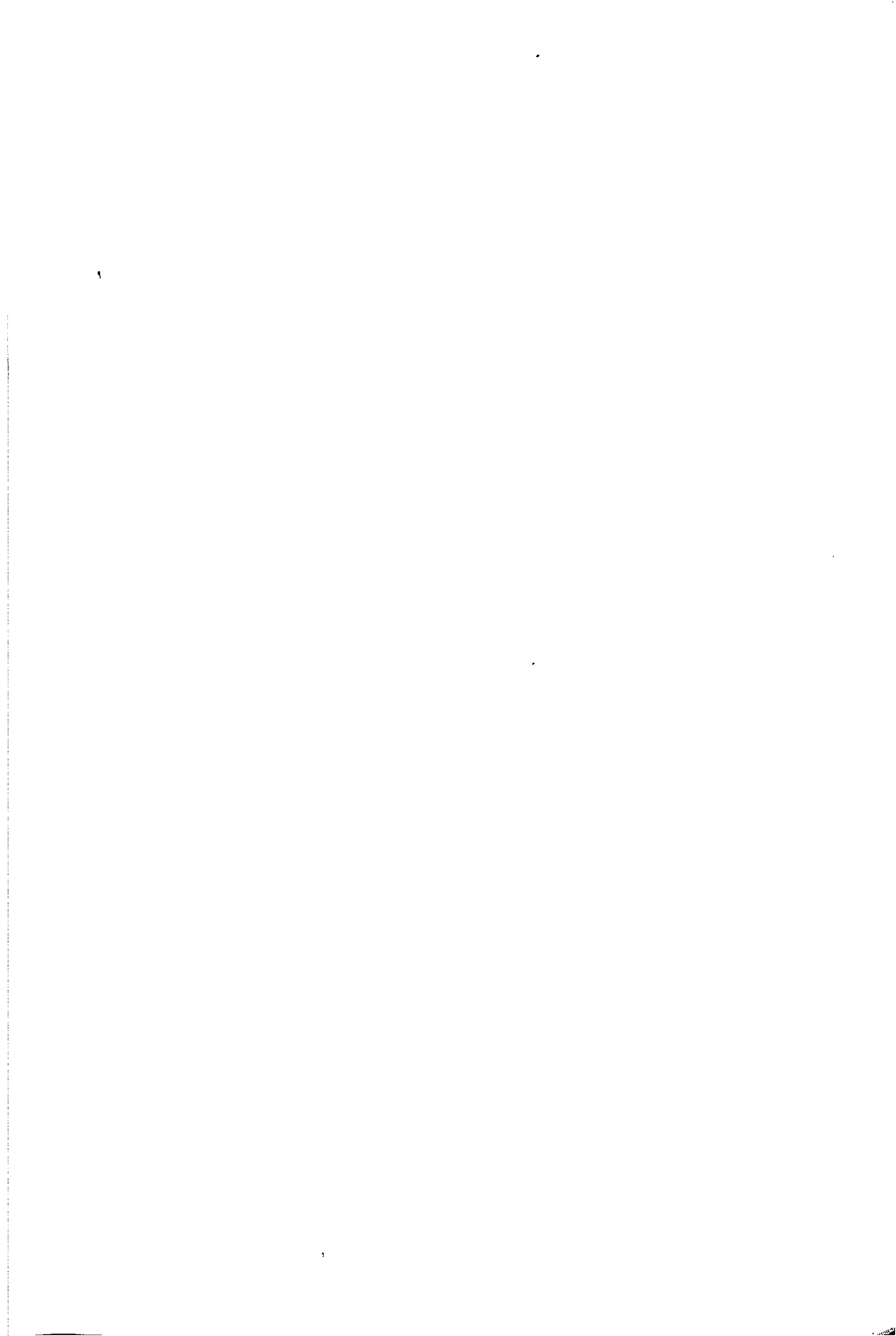


فصل المقال وإرشاد الضال

في

توسل الجهال

تأليف العلامة

أبي بكر محمد عارف خوقير

الكتبي المكي

ت: ١٣٤٩ هـ

تحقيق ودراسة

أبي بكر بن سالم الشهال

ح دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خوقير ، ابو بكر محمد عارف

فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهال / ابو بكر محمد عارف خوقير ، أبو بكر سالم شهال - الرياض

١٥٦ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٣- ٦٦ - ٨٥٤ - ٩٩٦٠

١- التوسل ٢- العقيدة الإسلامية أ- شهال ، ابو بكر سالم (م.مشارك) ب- العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٢/٢٩٢٨

رقم الإيداع : ٢٢/٢٩٢٨

ردمك : ٣- ٦٦ - ٨٥٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م



دار المسلم للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف: ٤٩٣١١٤٩ - فاكس : ٤٤٥٣١٧١

الموقع : www.dar-almuslim.com

بريد الكتروني : E-mail: info@dar-almuslim.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمـــد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ

أمـــا بعـــد : فـــإن تصـــحيح العقائد هو أهم العلوم، وبه أرسل الأنبياء والمرســـلون، وهو وظيفة ورثة الأنبياء، الذين منّ الله عليهم بشرف حمل العلم بعدهـــم، فســـاروا عـــلى دربهم وطريقهم بإحسان يهتدون بهديهم ويستنون بســـنتهم، فهدى الله بهم ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ۝ ﴾ [الرعد:٧] وإن أهم الواجبات عـــلى مـــن يسير بدرب الأنبياء الذبّ عن الدين الحنيف وعن عقيدته الصافية، وذلك بالرد على الشبهات الواردة من قبل أهل الأهواء والبدع، ولم يخلُ وقت من الأوقات إلا وفيه من يدافع عن هذا الدين ويرد شبهات المغرضين.

ومـــن هـــؤلاء الأعـــلام الذين بذلوا وسعهم في التصدي لأهل الأهواء ؛ العلامة الجليل: أبو بكر بن محمد عارف خوقير المكي الكتبي المتوفى سنة ١٣٤٩ هــــ، إذ حمـــل هذا العالم المجاهد لواء السنة والدفاع عنها، في عصر طغى فيه الفســـاد الاعتقادي، وخصوصاً في بلاد الحجاز وتحت ظل الدولة العثمانية التي كانت مأوى الصوفية في عصرها الأخير، في هذا الوضع قام المجاهد خوقير رحمه الله بالـــرد على بعض الوافدين الهنود، عندما عرض الهندي على العلاّمة خوقير بعـــض الشـــبهات في التوسل والاستغاثة من الأحاديث الموضوعة والحكايات

المـــنكرة المصنوعة، وما أشبه ذلك من منامات وقصص لا تنفق عند من له إلمام بعقيدة أهل السنة والجماعة، ومن له علم صحيح.

ولمـــا وقفت على هذا الكتاب ورأيت ما فيه من ردّ للشبهات، أحببت أن أحققـــه وأعلـــق عليه، وأخرج أحاديثه، لعل الله سبحانه وتعالى يكتب الأجر لـــلمؤلف، ويحيي ذكره ويرفع قدره، فإنه كان يحمل لواء التوحيد ونصرته في عصـــره وبلـــده، فاضطهد وسجن وعُذّب، ولعل الله سبحانه وتعالى يكتب لي الأجر في إخراج هذا الكتاب وخدمته، أسأل الله سبحانه وتعالى القبول، وحسن الختام. آمين.

وهذا الكتاب طبع سنة ١٣٢٤هـــ في حياة المؤلف في مطبعة المنار بمصر، يقع في ٧٢ صفحة، ألفه مؤلفه وعمره أربعون سنة.

قال المصلح الإمام محمد رشيد ضا رحمه الله تعالى عنه [(١)]: ألّف الشيخ أبو بكر خوقير الكتبي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه : « **فصل المقال وإرشـــاد الضال في توسل الجهال** » واسمه يدل على مسماه، وقد أحسن فيه ونصر السنة، وخذل البدعة، وقد طبع بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر التلمساني الفاضل السلفي" إ.هـــ.

ولعله الكتاب المكي الوحيد في تلك الفترة الذي ردّ على شبهات الخرافيين المســـتغيثين بغير الله تعالى، إذ انتشرت كتب أحمد زيني دحلان وكتب يوسف النبهاني وغيرهما ممن نصروا البدعة وشيدوا بنيانها. نعم ذكر المؤلف أن لصديقه الشيخ الفاضل محمد طيب المكي رسالة في التوحيد، وأخرى في قول العامة : يا

---

(١) المـــنار (مجـــ٩/ جـــ١١/ص:٨٢٤) في ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـــ ١٧ديسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٦م.

شيخ عبد القادر شيء لله، ولكن يظهر من أسماء هذه الرسائل أنها ليست ردوداً على الشبهات التي يوردها هؤلاء من أحاديث ضعيفة أو منكرة.

منهجي في التحقيق:

أولاً: ضبط النص:

١ــ عُنيت أثناء التحقيق بمقابلة النص وعدم الإخلال به بالسقط أو التحريف، قدر الطاقة.

٢ــ أغفلت أثناء التحقيق الأخطاء المطبعية الواضحة، ولم أشر إليها في الهامش، لأنه لا فائدة منها، بل تثقل الكتاب بالحواشي، وهذه الأخطاء نحو إثبات ألف (ابن) بين العلمين. أو كلمة (الحدث) ويقصد الحديث، ونحوه. وما رأيت في التنبيه عليه فائدة فإني أنبه عليه.

٣ــ رجعت إلى الكتب التي أخذ عنها المؤلف غالباً، وقارنت ما نقله عنها، وأثبت بعض الفروق في الحواشي، أو أدخلت في النص بعض ما رأيته مهماً في توضيح الكلام، وذلك من الكتاب الذي نقل عنه المؤلف، ونبهت على ذلك.

٤ــ احتجت في مواطن قليلة جداً إضافة كلمة أو حرف ليستقم الكلام، وجعلت ذلك بين معقوفتين [ ] ونبهت في الحاشية على ذلك.

٥ــ كان للمؤلف رحمه الله تعليقات قليلة على كتابه، فأثبتها كما هي، ونبهت على أنها للمؤلف.

ثانياً: التعليق على النص:

١ ــ عزوت الآيات لموطنها من السور.

٢ ــ خرجت الأحاديث، ولم أتوسع غالباً إلا فيما دعت إليه الحاجة كتخريج حديث: مالك الدار خازن عمر، وما أشبهه.

٣ ــ شرحت الغريب.

٤ ــ علقت على بعض ما رأيته يحتاج إلى تعليق.

٥ ــ عرفت ببعض الأعلام ، ولم ألتزم بترجمة كل ما ورد في الكتاب من أعلام لئلا تثقل الحواشي بذكر من عُرف حالهم، أو سهل الرجوع لمظانّ تراجمهم.

ثالثاً: قسم الدراسة:

١ ــ ترجمت للمؤلف ترجمة ضافية واسعة، وذلك لأنني لم أجد من خدم ترجمته خدمة تليق بمنـزلته، فكل من ترجم له ينقل بعضهم من بعض، مارّين على الأخطاء، من غير شعور. بل إن بعضهم ينقل ترجمته من كتاب عمر عبد الجبار رحمه: "سير وتراجم" بحذافيرها، مع تقديم وتأخير لا يُذكَر، ويغفل عزوها لصاحبها الأول.

ولا أنسى هاهنا أن أسجل تقديري واحترامي ودعائي لكل من اهتم بترجمة المؤلف، أو ترجم له، كالإمام المصلح رشيد رضا، والعلامة المؤرخ المسنِد عبد الستار الدهلوي، والعلامة محمد منير آغا الدمشقي ــ صاحب نموذج من الأعمال الخيرية ، وصاحب التعليقات على إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ، وغيرها ــ وللأستاذ الكبير والكاتب الشهير: عمر عبد الجبار ــ رحمهم الله ــ ولكل من رجعت إلى كتبهم وذكرهم ضمن مراجع الترجمة.

٢ـــ قمت بكتابة دراسة مختطفة حول التوسل الممنوع والمشروع، والفرق بـــين الاستغاثة والتوسل، الذي لا يعرفه كثير من الناس العوام، وأدعياء العلم، وهو ما دعا المؤلف لتسطير هذا الكتاب.

وبينـــت في هذه الدراسة تناقض أهل البدع في الاحتجاج لبدعهم، حيث يســـتدلون في مجـــال تصـــوفهم بالواهيات والمنكرات، والقصص والمنامات، ويـــتركون الأحاديـــث المسندة الثابتة كالبنيان المرصوص، ويردونها بالكشف والـــذوق والعقـــل؛ فكشفوا عن قلة ذوقهم وخفة عقلهم. نسأل الله السلامة والعافية، وحسن الحياة والختام.

ولا يفوتـــني في هـــذه المقدمة أن أشكر والدي الكريم[1]: الداعية القديم لإحـــياء ســـنن سيد المرسلين ﷺ، والشاعر الأديب؛ على قراءته لهذا الكتاب

---

(١) ولـــد حفظه الله سنة ١٩٢٢م. ونشأ برعاية الله ثم برعاية والديه الأمين، حيث رباه أبوه على حب الصدق، ودخل الكتّاب وختم القرآن نظراً وهو دون العاشرة، وبعدما جاوز العاشرة بدأ بالقـــراءة الخاصـــة، فقرأ كتباً كثيرة من قصص وروايات، ثم أخذ كتب الأدب فقرأ أمهاتها، كالعقد الفريد والأغاني، وأغلب يتيمة الدهر، وكثيراً من دواوين الشعراء، وحفظ من غير قصد الحفـــظ مئات من الأشعار والشواهد، ثم هداه الله للالتجاء إلى العلم الشرعي، والدعوة إلى الله عز وجل، فبدأ بحفظ القرآن، فيقول: وجدت للقرآن لذة خاصة وطعماً آخر بعدما قرأت كتب الأدب. ولذلـــك يعتبر الوالد ـــ عن تجربة ـــ أن القرآن حجة على الأدباء والشعراء أكثر من غيرهم. لأنهم يتذوقون حلاوة الكلام العربي، بخلاف غيرهم.

وكان يتردد على المسجد المنصوري الكبير في طرابلس ويسمع لما يلقى فيه من دروس، وكان مـــن أهـــم شيوخه فيه: الشيخ السندروسي رحمه الله، كما واستفاد من مشايخ آخرين كعبد الكـــريم عويضة كان بارعاً بالعربية والأصول، والعلامة محمد رحيم رحمه الله وكان فقيهاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر: له رسالة في المواريث، وأخرى في الرد على المنصرين. واستفاد من رئـــيس البعثة الأزهرية آنذاك: صلاح أبو علي. كما وقرأ للإمام رشيد رضا رحمه الله واستفاد مـــن مجلـــته فائدة عظيمة، ومن كتب جمال الدين القاسمي، ومن المجلات الإسلامية المتخصصة كالهدي النبوي.

والتعلـــيق علـــيه، رغم انشغاله في أمور الدعوة، فضلاً عن أمور بيته ومعاشه، فاســـتفدت من تعليقاته وتوجيهاته، وأثبت بعضها لما تنمّ عن حسن فهمه ودقة استنباطه، رجاء رفع منـــزلته وعلو درجاته ـــ عند الله تعالى ـــ .

كمـــا وأشـــكر مدير مكتبة الحرم المكي الذي سمح لي بتصوير الكتاب، وأشـــكر الدكتور يوسف المرعشلي الذي أمدني بصورة عن ترجمة المؤلف من كتاب فيض الملك المتعالي (مخطوط)، فاستفدتُ منها أيما إفادة، وأشكر كل من شجعني على تحقيق هذا الكتاب، أو أمدني بأثارة من علم، أو إشارة برأي، ممن يطـــول ذكرهم، ويصعب حصرهم، فلهم مني جميعاً خالص التقدير والاحترام، والدعاء لي ولهم بحسن العمل والختام.

ورحم الله كل من دافع عن السلف وعقيدهم ومنهجهم. ونسأل الله تعالى أن يجمعنا معهم في الفردوس الأعلى، آمين.

ومـــا جـــاوز العشـــرين إلا وكان صيته قد ذاع في طرابلس الشام ، حيث كان يخطب بعد الصـــلوات في مساجد طرابلس،وخصوصاً في المسجد المنصوري الكبير، والعطار. واستمر على ذلك سنين طويلة. دخل على الصغير والكبير، ونصح وذكر، وما زال بحفظ الله ورعايته، آمراً بالمعـــروف ناهياً عن المنكر، محيياً للسنن محارباً للبدع ، مرتلاً للذكر الحكيم غيباً ونظراً، رغم كبر سنه، ووهن عظمه، وبياض رأسه ولحيته. نسأل الله لنا وله ولجميع المسلمين حسن الختام.

ترجمة العلامة الشيخ: أبي بكر بن محمد عارف خوقير[1].

---

(١) أهم المصادر التي ترجمت للمؤلف : كتابان، ثم تعاقب الناس بالنقل عنهما أو عن فروعهما.

الكتاب الأول: فيض الملك المتعالي في أبناء القرن الثالث عشر والتوالي (مخطوط). لصاحب المؤلف وتلميذه؛ العلامة المسند المؤرخ عبد الستار الدهلوي، وتفرد هذا الكتاب بذكر دقيق لسنة ولادته، وذكر شيوخه الذين أجازوه، وبعض الذين أخذ عنهم دون إجازة، وفيه الوقوف على بعض رحلاته إلى الهند، ومن هذا الكتاب أخذ كثيراً من المعلومات عمر عبد الجبار في كتابه: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر (ص: ٢٢ — ٢٤). وعن عمر عبد الجبار أخذ عبد الرحمن آل الشيخ في كتابه مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص:٤٣٧ — ٤٤٠)، واستفاد من الأعلام في المؤلفات، والله أعلم.

والكتاب الثاني : مجلة المنار للإمام المصلح العلامة رشيد رضا رحمه الله (المجلد ٣١ الجزء ٣ ص: ٢٤٠ وتتمتها في المجلد ٣١ الجزء ٤ ص: ٣٢٠) وتميز هذا الكتاب بذكر بعض الوظائف، والأحوال التي مرّت به، وتميز بذكر أكبر قدر من أسماء مؤلفاته، وعنه أخذ العلامة محمد منير آغا الدمشقي؛ في كتابه نموذج من الأعمال الخيرية (٩٨ — ١٠١) وعن النموذج أخذ الزركلي في الأعلام — كما في الطبعات القديمة — وزاد في الطبعات الجديدة (٢/٧٠) الإحالة على مشاهير علماء نجد، ولكن دون تغيير.

كما استفدت عن حياة العلامة أبي بكر خوقير — رحمه الله — من مقدمة الأخ خالد العنبري لكتاب (ما لا بد منه في أمور الدين) لأبي بكر خوقير. حيث نقل بعض الوقائع الحية عن الأمير عبد الله بن فيصل الفرحان آل سعود، كما تأتي الإحالة إلى ذلك.

كما واستفدت من كتاب مكة في القرن الرابع عشر لمحمد عمر رفيع، وهو ممن رأى المؤلف في السجن، حيث ذكر ملابسات سجنه والسبب في ذلك. وكل من ترجم للشيخ اعتمد غالباً على سير وتراجم، والمشاهير، والأعلام، وهي مصادر فرعية، وقد وقفت على المصادر الأصلية بفضل الله تعالى، فكانت هذه الترجمة.

وهناك ترجمة له في كتاب نثر الدرر في تذييل نظم الدرر، للدهلوي السابق ذكره — كما أفاده العنبري — . والله أعلم، و لم أقف عليه. ولعل ما في الفيض يغني عنه. وهناك ترجمة أخرى كتبها شيخنا عبد الفتاح بن حسين بن إسماعيل راوه المكي، — المدرس في المسجد الحرام — =بتاريخ ١٤١١/١١/٢١هـ، مضروبة على الآلة الكاتبة، كما أفادني بذلك، وكما أفاده العنبري، وكانت بتكليف من الشيخ السبيل حفظه الله تعالى، رئيس شؤون الحرمين.

اسمه ونسبه:

هو أبوبكر بن الشيخ محمد عارف الإمام بالمسجد الحرام ابن العلامة الشيخ عبد القادر بن محمد علي خوقير الكتبي.

مولده ونشأته:

ولد العلامة أبو بكر خوقير رحمه الله بمكة المكرمة في ٢٦ ذي الحجة، سنة ١٢٨٤هـ[١].

وكان صاحبه وتلميذه العلامة المسند عبد الستار الدهلوي يسأله مراراً عن ترجمته وسنة ولادته فيسكت، ثم أجابه وقال له: "أقبل على شأنك، فإني رُوِّيتُ بسندي إلى الإمام الشافعي، قال سألت مالك بن أنس عن سنِّه، فقال: أقبل على شأنك، فليس من المروءة إخبار الرجل عن سنِّه، إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه"[٢].

ثم سأل عمَّه الشيخَ صديق خوقير عن مولده فأفاده بما سبق ذكره.

نشأ العلامة أبو بكر خوقير في مكة حرسها الله، في عصر خَيَّم عليه الجهل بالتوحيد ومعالم الدين، وسادت البدعة والخرافة.

---

(١) ذكره الدهلوي في الفيض نقلاً عن عمِّ المؤلف، وتبعه على ذلك عمر عبد الجبار في كتابه سير وتراجم، وذكره كذلك العلامة صالح بن عثمان القاضي (صاحب المؤلف وتلميذه) في كتابه تاريخ نجد وحوادثها (جـ ١/ ٢٧) وذكر محمد منير آغا الدمشقي، وتبعه الزركلي في الأعلام، أنه ولد ١٢٨٢ تقريباً.

(٢) فيض الملك المتعالي، وسير وتراجم

ونشأ في بيت علم وفقه فأبوه [١] وجدُّه من العلماء المعروفين في زمنهم، وهم من أئمة الحرم والمدرسين فيه.

فتفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى تبعاً لآبائه كما هي عادة الناس من زمن قديم، ثم تحول إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى [٢]، تبعاً لوصية شيخه عبد الرحمن سراج الحنفي مفتي مكة المشرفة، حيث أشار عليه وعلى آخرين من طلبة العلم بأن يتفقهوا في المذهب الحنبلي ليكون في علماء الحجاز من يتولى منصب الفتوى في هذا المذهب، لأن علماء الحنابلة النجديين لم تكن الحكومة العثمانية آنذاك ولا أمراء الحجاز يحبون أن يشغلوا هذا النصب، لاعتقادهم فيهم الخروج عن خطة المذاهب المنتشرة، وغلوهم في العقائد الزائغة ـ بزعمهم ـ ، ولم يكن هذا مما ترتاح له الحكومة والأمراء في الحجاز [٣] .

وطلب العلم صغيراً فقرأ القرآن وجوده، وكان مشغوفاً بعلم الحديث حتى أدرك كبار أهل عصره من أهل بلده، وارتحل في سنٍّ مبكرةٍ إلى البلدان الشاسعة، وروى عن أفاضلها، وحصّل الأسانيد العالية [٤] .

وممن كان له الفضل بعد الله عز وجل في تمسكه بمذهب السلف العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى حيث لازمه وقرأ عليه في علم التوحيد والفقه

---

(١) إفادة الأنام بأخبار لد الله الحرام (٧/ ٦٦٦) لمؤرخ مكة عبد الله محمد غازي، بواسطة كتاب الحرم الشريف الجامع والجامعة لعبد الوهاب أبو سليمان، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي.

(٢) المصدر نفسه ، والمنار والنموذج.

(٣) مجلة المنار ونموذج من الأعمال الخيرية.

(٤) فيض الملك المتعالي.

الحنبلي[١]، كما كان للعلاّمة أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله الفضل بعد الله عز وجل في رجوع الشيخ الفاضل العلامة محمد نصيف، والشيخ الوجيه التاجر الشيخ عبد القادر التلمساني، صديق الشيخ خوقير إلى عقيدة السلف، ومحاربة البدع[٢].

ودرس المؤلف كتب السلف في العقائد[٣]، ومن هذه الكتب كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام المجدد[٤]، فأصبح داعية من دعاة التوحيد الخالص، فبدأ يحارب الشرك والبدع والخرافات، ويناظر ويجادل ويؤلف الرسائل المفيدة في ذلك، ولا سيما في توسل العوام في القبور وطلب الحاجة من الأموات، فكان شديد الوطأة عليهم، كما يظهر ذلك من كتابه الذي بين أيدينا «فصل المقال». كما كان ينقم رحمه الله على الذين يشدون الرحال إلى الأولياء، ويقدمون لهم النذور والقرابين، ويتمسحون بالقبور رجاء البركة، ويتذللون لأصحابها راجين منهم الخير لهم، ودفع الشرّ عنهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

---

(١) فيض الملك المتعالي، أما عن رجوعه إلى مذهب السلف فانظر: مقدمة ما لابد منه في أمور الدين (ص:١٢) بقلم: الأخ خالد العنبري، نقلاً عن الأمير عبد الله بن فيصل الفرحان آل سعود، حيث حدَّثه بذلك.

(٢) انظر تقديم العلامة محمد بن مانع لشرح ابن عيسى على نونية ابن القيم (١/١٧)، ومقدمة الرد على المستعينين بغير الله لابن عيسى، تقديم محمد نصيف رحمه الله. وعلماء نجد خلال ستة قرون (١/١٥٦ــ ١٥٧) وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد (١/٦٨) حيث إن ابن عيسى كان تاجراً في الأقمشة، وكان يتردد بين مكة وجدة ونجد، وأقام بمكة مدة، فاتصل بهؤلاء المشايخ، ودعاهم، كما اتصل بالشريف عون فأقنعه بهدم القباب التي على القبور ففعل، جزاهم الله خيراً.

(٣) المنار، ونموذج من الأعمال الخيرية.

(٤) سير وتراجم.

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان:٣] . ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل:٢١].

ومما يوضح نشأته وطلبه للعلم معرفة شيوخه وماذا أخذ عنهم وقرأ عليهم:

شيوخه:

تتلمذ المؤلف أبو بكر خوقير على عدة شيوخ من أشهر شيوخ ذلك العصر، وخصوصاً في علو الإسناد؛[1] منهم:

١ــ الشيخ حسين بن محسن الأنصاري[2] الخزرجي السعدي اليماني. لقيه في الهند أثناء سياحة الشيخ حسين بن محسن سنة ١٣١٣هـ. وأسمعه المسلسل بالأولية وكتب له إجازة مطولة بخطه، قال عنها:" وهي من أجل غنم عندي".

٢ ــ والقاضي؛ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي ، وكان قد جاور مكة عدة سنوات، ثم رجع إلى نجد فتولى قضاء المجمعة، توفي سنة ١٣٣٨هـ[3] كان يقرأ عليه المسند، وسمع منه شرح النونية وكتاب تنبيه النبيه والغبي، وأجازه إجازة طويلة عن شيوخه، منهم أبوه القاضي إبراهيم، والشيخ عبد الله بن عبدالرحمن أبا بطين، وعبد الرحمن بن حسن، وولده عبد اللطيف.

٣ ــ والشيخ الإمام المحدث محمد نذير حسين الملقب بشيخ الكلّ: لقيه المؤلف في الهند بدهلي سنة ١٣٠٧هـ، وقرأ عليه أوائل الكتب الستة في الجامع الذي يدرس فيه، وأجازه إجازة عامة.

---

(١) كما نقل ذلك الشيخ عبد الستار الدهلوي عن شيخه أبي بكر خوقير نفسه.

(٢) تصحف الاسم في سير وتراجم، وفي كل من نقل عنه؛ إلى: حسين بن عيسى، وجعل حسين بن محسن شيخاً ثانياً.وهو نفسه. والله أعلم.

(٣) روضة الناظرين (٦٩/١)

٤ ــ الشيخ محمد بن عبد العزيز، المدعو: بالشيخ محمد الهاشمي الجعفري الطياري الهندي، لقيه المؤلف في بلده بوفابل وزاره في بيته سنة ١٣١٧هـ وأجازه إجازة عامة مشافهة وكتابة ، وأسمعه المسلسل بالأوليه، حديث الرحمة، "الراحمون يرحمهم الرحمن إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" [(١)]. وناوله كتاب بلوغ المرام وأجازه به.

٥ ــ أحمد بن زيني دحلان[(٢)]، توفي سنة ١٣٠٤هـ. قرأ عليه شيئاً من جمع الجوامع مع تلامذته من شيوخ المؤلف الكبار، وحضر بعض دروسه في تفسير البيضاوي.

---

(١) رواه أبو داود (الأدب ــ باب في الرحمة ــ ٥/٢٣١ رقم:٤٩٤١) والترمذي (البر والصلة ــ باب ما جاء في رحمة المسلمين ــ ٤/ ٣٢٣ ــ ٣٢٤ رقم: ١٩٢٤) والإمام أحمد (٢/١٦٠) والحميدي (٢/٢٦٩) وغيرهم كثير، قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه العراقي. أنظر : الوجازة في الإجازة لشمس الحق العظيم آبادي (ص:٤٦).

(٢) وهومن علماء مكة القبوريين الذين تصدوا لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بالكذب والبهتان، واتهمه بأنه كان يبطن النبوة، قال الشيخ الرشيد رحمه الله في تقديمه لصيانة الإنسان: ألف رسالة في ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين: قطب الكذب والافتراء على الشيخ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه، إنتهى. وقد رد عليه في تلك الرسالة عالم من فضلاء الهند وعلمائها : محمد بشير السهسواني، بكتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان. قلت: وتَتلمذُ الشيخِ أبي بكر خوقير على دحلان هو بحكم تعلمه في الحرم المكي لأن الشيخ دحلان كان من المدرسين في الحرم وأصبح مفتياً لمكة أو للشافعيين فيها، وكان ذلك قبل عودة المؤلف لمنهج السلف الصالح، إذ ذكرنا عنه أن سبب عودته والتزامه بالمنهج المستقيم هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رحمه الله. وهذا الأمر هو المتعين ــ والله أعلم ــ لأن عمر أبي بكر خوقير كان حين وفاة الشيخ دحلان، ٢٠ أو ٢٢ سنة على حسب الخلاف في سنة ولادة الشيخ خوقير ، وعليه فإن هذا العمر صغير، واحتمال التغير بعده وارد جداً، لما ذكر المؤرخون أن سكنى الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى مكة كانت سنة ١٣٠٦ هـ أي بعد وفاة دحلان بسنتين، وبعده اتصل خوقير بالشيخ ابن عيسى رحمه الله وأصبح من أشهر تلامذته. أنظر :روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد (١/٦٨).

٦ ــ عبد الرحمن بن عبد الله سراج مفتي مكة ، ت: ١٣١٤هـ. العلامة المحدث المفسر، حظي المؤلف بمذاكرته ليالي كثيرة، وحضر درسه في التفسير وراء المقام الحنفي ــ كما ذكر ذلك عن نفسه ــ وهو الذي نصحه بالتفقه على مذهب الإمام أحمد، وعزل الشيخ خوقير من التدريس مع شيخه عبد الرحمن سراج الدين على عهد الشريف عون[١] .

٧ ــ الشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي[٢][٣]، المعمر الشهير، لقيه في مكة المشرفة حرسها الله حين ورد إليها حاجاً سنة ١٣٠٥هـ، وتوفي بها في الحج من العام نفسه، زاره في بيته مع جماعة من أصحابه، فأسمعه المسلسل بالأوليه.

٨ ــ الشيخ محمد الأنصاري السهارنفوري ثم المكي، الرجل المعمر، قرأ عليه أكثر صحيح البخاري بمنزله بمكة.

٩ ــ جدّ المؤلف : العلامة الفَرَضيّ الشيخ عبد القادر بن محمد علي خوقير المدرس والإمام بالمقام الحنفي رحل إلى الهند والآستانة ولقي الشيوخ الأفاضل وتوفي في الآستانة سنة ١٣٠٤هـ؛ قرأ عليه أكثر الشفا للقاضي عياض بشرح الملا علي القاري، وشرح النخبة لابن حجر.

١٠ ــ السيد علوي بن صالح بن عقيل العلوي الحسيني المعمر، أجازه إجازة عامة بعلم المدينة وغيرها من العلوم.

---

(١) المنار ، والنموذج.

(٢) جاء في مقدمة (ما لا بد منه) بقلم العنبري: القاوقجي والطرابلسي، وهوتصحيف، إذ أن القاوقجي هو طرابلسي، نسبة لطرابلس الشام.

(٣) انظر هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٢/٣٨٧ ــ ٣٨٨)

قال الشيخ خوقير: وقد قرأت على كثير من المكيين من علماء الحرم الشريف، من تلامذة الشيخ البرهان البيجوري ممن أدركتهم رحمهم الله.. وقد لقيت المشايخ الكبار من تلامذة العلامة الشيخ حسن الشطي الحنبلي واستفدت منهم ومن تلامذتهم: منهم :

١١ ـ الشيخ يوسف البرقاوي شيخ الحنابلة بمصر.

١٢ ـ والشيخ محمد الخطيب خطيب دوما، وعالم الحنابلة بالمدينة.

١٣ ـ والشيخ عبد الله صوفان القدوميّ.

عقيدته:

تمتع الشيخ رحمه الله بعقيدة سلفية سليمة سواء في توحيد القصد والطلب أو في توحيد المعرفة والأسماء والصفات، فالنوع الأول من التوحيد يظهر في كتابه فصل المقال، والنوع الثاني يظهر جلياً في كتابه: ما لابدّ منه في أمور الدين. وكلامه في هذا الكتاب يطول ذكره فمن أراد الوقوف عليه فليرجع إليه.

منزلته العلمية وثناء العلماء عليه:

وبعد أن تتلمذ على هؤلاء الشيوخ ودرس عليهم بعض الفنون، وجدّ واجتهد، أصبح ـ رحمه الله ـ ذا منزلة علمية مرموقة، ولذا تولى عدة مناصب من الإفتاء والإمامة والتدريس في سن مبكرة ـ كما سيأتي ـ.

وكان رحمه الله لمعرفته بمذهب الإمام أحمد مرجع المفتين في ذلك الوقت، ففي عام ١٣٢٤هـ و ١٣٢٥هـ كان الشريف علي باشا أمير مكة، وفي

إمارتـــه كان الشيخ أحمد فتة الشافعي مفتياً للحنابلة، فكان يأتي إلى الشيخ أبي بكر خوقير فيستشيره بالفتاوى وربما كتبها له[١].

ومـــا يدل على براعته في مذهب الإمام أحمد رحمه الله أنه أملى على أحد تلامذته قبل موته بمدة مختصراً في الفقه[٢].

ووصفه الإمام المصلح رشيد رضا رحمه الله وكان قد التقى به عدة مرات وجلـــس معـــه بقوله: "صديقنا العالم العامل المصلح الشيخ أبو بكر خوقير..." وقـــال: " كـــان مهذبـــاً رقيق الطبع حسن المعاشرة على شدته في دينه وأمره بالمعـــروف ونهـــيه عن المنكر، حتى إن مجلسه لا يخلو من دعابة ما في المفاكهة، ونكت أدبية وتاريخية، وكان يحب الأصوات الشجية ولا يرى بها بأساً[٣]. وقال الشيخ رشيد عنه أيضاً: " أكبر علماء السلفيين وفقهاء الحنابلة في الحجاز"[٤]. وقال عنه : أحد علماء مكة المكرمة [٥].

---

(١) المنار ، ونموذج من الأعمال الخيرية.

(٢) نموذج من الأعمال الخيرية.

(٣) المنار ، ونموذج. والظن بالشيخ أبي بكر خوقير أن هذه الأصوات التي يجيز سماعها تخلو من المحاذير الشرعية، كتكسر الأصوات وتخنثها، واصطحاب آلات اللهو معها، كالدف والمزهر، وما أشبه ذلك، وتخلو ألفاظها من المنكرات، وقد ابتلي المسلمون اليوم بألوف المغنين والمغنيات المفتنين والمفتنات، كما وابتلوا بكثير من المنشدين الذين لا يراعون الأحكام الشرعية في أناشيدهم، إلا من رحم الله، ويكفي أن ما يسمى بالأنشودة الإسلامية !! أنها أصبحت ضرة القرآن عند كثير من الشباب، إلا من رحم الله، فنسأله أن يرحمنا مع المرحومين. آمين...

(٤) المنار.

(٥) المنار (مجـ٩/ جـ١١/٨٢٤)

ووصفه صديقه وتلميذه العلامة المؤرخ عبد الستار الدهلوي بقوله: "الإمام المحـــدث الســـلفي الأثري الشهير... صديقنا الفاضل السلفي، ورفيقنا الكامل الأثري".

ووصـــفه العلامة محمد منير آغا الدمشقي بقوله: " الشيخ الوقور والمجاهد الغيور.."، وقال: "فدرس المرحوم المترجم له المذهب الحنبلي وتمكن فيه وبرع".

وأثنى عليه العلامة صالح بن عثمان القاضي (من عنيزة) [١] فقال: "وكان آية في علم الحديث، تلقى علومه في الهند، وفي المسجد الحرام، ودرس فيه زمناً، وكان من أخص زملائنا في مكة ، وله شهرة وصيت ذائع رحمه الله" [٢].

هذا وقد أثنى عليه جمع من علماء الأزهر عندما قرظوا كتابه[٣] : (ما لابد منه في أمور الدين) من أبرزهم محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي نظارة الحقانية المصرية.

أعماله ووظائفه:

عـــيِّن مفتـــياً للحـــنابلة وإماماً لهم ومدرساً في المسجد الحرام، وهو دون الثلاثين من عمره[٤] ، ثم عزله الشريف عون (المتوفى:١٣٢٣هـــ)، كما سيأتي ـــ إن شاء الله[٥] ـــ ثم عينه الشريف حسين (المتوفى:١٣٥٠هـــ) مفتياً للحنابلة

---

(١) توفي سنة ١٣٥١هـــ ترجم له حفيده في كتاب روضة الناظرين (١٥٢/١ــــ ١٦٥)

(٢) تاريخ نجد وحوادثها (جـــ٢٧/١) للعلامة صالح القاضي.

(٣) انظر هذه التقاريظ؛ آخر كتاب: ما لابد منه في أمور الدين.

(٤) يدل على ذلك أنه ولد سنة ١٢٨٤هـــ وكان قد عزل من التدريس والإفتاء والإمامة في عهد شيخه عبد الرحمن سراج (المتوفى سنة ١٣١٤هـــ)

(٥) المنار ، ونموذج من الأعمال الخيرية.

سنة ١٣٢٧هـ في أول إمارته، ولكنه ما لبث أن غضب عليه وفصله بعد أيام بوشاية بعض معاصريه بأنه وهابي[١]. وعيّن مكانه الشيخ عبد الله بن حميد السنجدي مفتياً للحنابلة بمكة[٢]، ثم عزل ابن حميد وعيّن مكانه عمر باجنيد الشافعي مفتياً للحنابلة، ويقال عنه: إنه من علماء مكة القبوريين[٣]، وهو تلميذ بابصيل تلميذ دحلان، وهذه سلسلة ناهيك بها[٤].

وفي سنة ١٣٣٤هـ جعله الشريف حسين عضو مجلس الشيوخ الأعلى في الحجاز[٥]، ثم عزله بعد سنة لاعتراضه على خوض محرر جريدة القبلة إذ ذاك في تفسير القرآن بغير علم، وكان الشريف حسين نفسه هو الذي يفسر بعض الآيات برأيه في بعض المقالات التي ينشرها في تلك الجريدة، وفي بعض بلاغاته الرسمية أيضاً[٦].

---

(١) المنار، ونموذج من الأعمال الخيرية. ومكة في القرن الرابع عشر لمحمد عمر رفيع. قلت: وعزله من منصب الإفتاء لا يعني أنه عزل من التدريس فقد بقي مدرساً في الحرم المكي كما يدل على ذلك كلامه في آخر كتابه: (ما لابد منه في أمور الدين) أنه ذهب لمصر لتصحيح كتابه سنة ١٣٣٢هـ خلال شهري الصيف.. مدة تعطيل الدروس في الحرم.

(٢) وهو حفيد الشيخ محمد بن حميد مفتي الحنابلة بمكة سنة ١٢٩٠هـ مؤلف السحب الوابلة في تراجم الحنابلة. أفاده رشيد رضا رحمه الله كما في المنار والنموذج.

(٣) قال عنه رشيد رضا : وهو الآن دخل في الوكر. أي بعد دخول الملك عبد العزيز رحمه الله مكة المعظمة.

(٤) المنار، والنموذج.

(٥) انظر نص المرسوم القاضي بتأسيس مجلس الشيوخ الأعلى ؛ رحلات رشيد رضا (ص:١٧٥) وكتاب إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام. تأليف محمد صالح الشيبي. رئيس المجلس يومئذ. ملحق رقم (١) (ص:٢٩٧)

(٦) المنار والنموذج.

وكـــان من أعماله رحمه الله تجارته بالكتب، ولذلك نسب إليها فقيل له: (الكتبي)، وكان رحمه الله قد بدأ بهذه التجارة منذ أن عزله الشريف عون الرفيق مـــن وظـــائف الحرم الشريف، إذ كان غضب على الشيخ عبد الرحمن سراج (المـــتوفى ســـنة ١٣١٤هــ) مفتي مكة ورئيس العلماء فيها، فعزله وعزل جميع رجاله المفتين والمدرسين، وكان للمترجم له منها إفتاء الحنابلة وإمامة الصلاة في مقـــام الحنابلة كما كان مدرساً، فكان يدعو للشريف عون بالرحمة لإلجائه إلى تجارة الكتب التي تعينه على العلم، فكان يذهب إلى الهند يحمل إليها مطبوعات مصـــر ومكـــة، ويعود منها ببعض المطبوعات الهندية. وكانت مكتبته في باب السلام في مكة المعظمة[1].

جهاده واضطهاده:

لقـــد كان رحمه الله كما وصفه الرشيد : آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر شديداً في دينه، وإن من أشد المنكرات الشرك بالله ووسائله وذرائعه، ثم البدع والخـــرافات، فكان رحمه الله شديداً في هذه الأمور، فكان يدعو بلسانه، ويخط ببـــنانه، فصنف في ذلك المصنفات المفيدة ــ كما مرّ وكما سيأتي إن شاء الله تعـــالى ــ لذلـــك كـــان يلاقـــي من قِبل بعض مشايخ أهل البدع الاضطهادَ والوشـــايات عـــند الحكام والولاة، فعُزِل من التدريس في عهد الشريف عون، وعزل من الإفتاء في عهد الشريف حسين، كما عزل من عضوية مجلس الشيوخ

---

(١) المنار ، والنموذج. وأما من جعل تجارته بالكتب بعد فكه من الأسر فلم يصب، وهو ناشئ عن اختصار الزركلي صاحب الأعلام من كتاب النموذج، وهو عمدته دون غيره في ترجمته، وهو كما ترى أثبت له سبقه في التجارة قبل السجن تبعاً لشيخه الرشيد. ومما يدل على ذلك أيضاً ما سيأتي إن شاء الله من قول محمد عمر رفيع في كتابه مكة في القرن الرابع عشر ، وهو ممن أدرك المؤلف ورآه مسجوناً.

الأعلى في الحجاز. وكل ذلك لثباته على الحق، وصدعه في ذلك، وسجن مرّتين، ففي المرّة الأولى سجن حوالي ثمانية عشر شهراً، وفي المرّة الثانية من حوالي سنة ١٣٣٨هـ إلى حين دخول جيش الملك عبد العزيز رحمه الله إلى مكة[١] . وكانت الذريعة الظاهرة لسجنه أن ابنه عبد القادر كان ضابطاً في الجيش التركي، حاول الالتحاق بالإمام عبد العزيز إمام نجد، بعدما فشلت محاولاته في الالتحاق في سلك الجندية عند الشريف حسين، فذهب إلى نجد وفي أثناء الطريق قبض عليه، وجيء به للشريف حسين فعذب وحبس، ثم أُخذ أبوه الشيخ أبو بكر خوقير فحبس أيضاً، ظلماً وعدواناً دون تحقيق، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فتذرعوا بذريعة الولد ليسجنوا أباه، الذي كان بينه وبينهم صولات وجولات، في الأمر بالتوحيد والسنة، والنهي عن الشرك والبدعة والخرافة، فزج في السجن من سنة ١٣٣٨هـ تقريباً إلى وقت دخول الملك عبد العزيز مكة المطهرة سنة ١٣٤٣هـ.

وكان حبسه في (حبس القبو) وهو سجن خصصه الشريف حسين لمن يشتد عليه غضبه[٢] .وهو شر من سجن الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد وصفه صاحب المنار رشيد رضا في مجلته وصف من عاينه وشاهده[٣] .

يقول الأستاذ عمر عبد الجبار[٤] : لقد شاهدت الشيخ أبا بكر خوقير أثناء دخولي السجن في غرفته بملابس رثة، وهو أشعث، قد طال شعره ولحيته، إذ لا

---

(١) المنار، والنموذج، وفيهما أنه سجن في المرّة الثانية حوالي سبعين شهراً، ومكة في القرن الرابع عشر ؛ لمحمد رفيع.

(٢) مكة في القرن الرابع عشر ؛ لرفيع (ص:٢٨٤)

(٣) المنار، والنموذج.

(٤) سير وتراجم.

يسمح لسجين باستعمال مقص أو موسى، فسلمت عليه فرد السلام، وقال: " إن الله مع الصابرين، ولي أسوة بإمامنا أحمد بن حنبل".

وقال الدهلوي رحمه الله: "وكانت حصلت له محنة شديدة، حتى أنه حبس بسبب ذلك، وناله ما نال إمامه المبجل أحمد بن محمد بن حنبل..".

وهـذا يـدل عـلى أنه سجن من أجل دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك والبدعة.

قال الأمير[١] عبد الله بن فيصل الفرحان آل سعود ـ وقد كان من جملة المـرابطين بالـرغامة والمحاصرين لجدة مع الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله:

" إن جيش الملك عبد العزيز بقيادة "خالد بن لؤي" قد دخل مكة المشرفة ـ زادها الله تكريماً ـ وانطلق الجيش والإخوان ـ رحمة الله عليهم ـ يهدمون الأضـرحة والقـباب، يُؤَمِّنون ساكني البلد الحرام، ويطوفون بالبيت العتيق، ثم عمدوا إلى السجن، وأخرجوا الشيخ خوقير ومن معه.

وفي فجـر ذلك اليوم بينما الشيخ خوقير يؤم تلاميذه ومن معه في السجن إذ رأوا عـلى وجهه البشر والسرور فألحوا عليه جداً عن سر ذلك، فأنبأهم أنه بيـنما هـو نـائم إذ رأى جماعة قد اقتحموا السجن، وفكّوا الحديد الذي في أرجـلهم، وأطلقـوا سراحهم، فسأل عن أولئك القوم، فقيل: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) حدَّث بذلك الأخ خالد العنبري كما في مقدمة ما لابد منه في أمور الدين.

وكـــان الشـــيخ ومن معه في السجن لا يعلمون ما يدور في الخارج من أحداث جسام، وإذا برؤيا الشيخ تقع مثل فلق الصبح، إذ دخل الإخوان السجن ـــ وكان فيهم من يعرفه ـــ وأذن مؤذن منهم: يا خوقير، يا خوقير، فأخرجوا الشيخ ومن معه أجمعين" إنتهى.

وخرج من السجن صفر اليدين؛ لا درهم له ولا دينار إنما كان يصيبه قليل مـــن أوقـــاف الحرمين التي تأتي من الآستانة ومصر والشام والعراق، فعاد ثانية لتجارة الكتب، وعاود تدريس طلابه في العلوم الدينية والتاريخية وغيرها في بيته بالنهار ، وبعضها في الليل، وظل مشتغلاً بالعلم والتعليم من غير وظيفة رسمية، ولم يطلب مساعدة ولا وظيفة ولا وسّط أحداً في ذلك، مما يدل على إخلاص عمله وقوة يقينه. إلى قبل وفاته بسنة أخبر بعض العارفين بحاله الملكَ عبد العزيز، ونـــوه بقدر هذا الرجل، ومكانة مترلته في العلم والعمل فجعله مدرساً في الحرم المكي الشريف ، وظل كذلك إلى أن اختاره الله إليه ـــ رحمه الله[1] ـــ .

---

(١) المنار، والنموذج ، وأما من أطلق اشتغاله بالتدريس في عهد الملك عبد العزيز ـــ كما في الأعلام للزركلي ـــ فهو مقيد بما أثبت أنه اشتغل بالتدريس في الحرم في آخر سنة من عمره، وقد قدمت أن مصدر الأعلام هو النموذج، فما في الأعلام اختصار موهم. وكذلك من أطلق اعتزاله الوظائف بعد الإفراج عنه ولزومه المسجد والبيت والتوجه إلى الله بالعبادة إلى أن توفي ـــ كما ذكر ذلك عمر عبد الجبار وتبعه غير واحد، مقيد بما سبق، والله أعلم، وانظر: الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية، للشيخ راغب الطباخ (ص: ٤٣٦) حيث أثبت إجازة الشيخ خوقير له وعليها توقيعه؛ وفيها: وكتبه المدرس بالحرم المكي أبو بكر بن محمد عارف...، وكانت بتاريخ ١٢/٢٠/ ١٣٤٨هـ ـــ أي قبيل وفاته بشهرين، مما يدل على أنه كان مدرساً في الحرم حين كتابة هذه الإجازة.

أبناؤه:

تقدم فيما مضى أن للشيخ خوقير ولداً اسمه عبد القادر قد سجن وسجن معـه أبوه، وقد ذكرت لنا المصادر(١) أن للشيخ ولدين اثنين هما: عبد القادر وحسـن. أمـا عبد القادر فقد توسل للسفر إلى الآستانة ودخل الكلية الحربية وتخرج منها ضابطاً، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى اشترك في حملة القتال ووقع في الأسر، فأطلقه الإنكليز مع من أطلقوا من أسرى العرب، فجاء إلى مكة وظل مـع والده، وحاول أن ينظم في سلك الجندية الذي أنشأه الشريف حسين بعد الثورة، فلم يتيسر له ذلك، ولما كان لوالده أصدقاء في نجد فقد كان يمتهن بيع الكتـب، ومتخصص في كتب العقيدة والسلف والمذهب الحنبلي ـ فكر الولد أن يسـافر إلى نجد ويلتحق بالإمام عبد العزيز... وفي أثناء طريقه إلى نجد قبض عليه، وجيء به إلى الشريف حسين فعذب وحبس، وأُخذ الشيخ أبو بكر خوقير وحبس، ومات عبد القادر من أثر التعذيب في الحبس.

وأما ولده الثاني ـ حسن ـ فقد أصيب بالسّل(٢) ومات، وأبوه ما زال محبوساً. فرحم الله الجميع.

تلاميذه:

مـن المعـروف أن من يشتغل بالتدريس وخصوصاً في المساجد؛ يكون تلاميذه كثر، و خصوصاً في المسجدين المباركين ـ الحرمين الشريفين ـ. فإن

---

(١) انظر مكة في القرن الرابع عشر، لمحمد عمر رفيع، والمنار، والنموذج. وسماهما الأستاذ رفيع، وأما الشيخ رشيد فلم يسمِّ إلا الكبير عبد القادر ووصفه بالشيخ، وذكر الثاني دون تسمية.

(٢) ذكر رشيد رضا: أن ولده الصغير مات كمداً وقهراً على أخيه.

الـــناس يقصدانهما من كل فج عميق للزيارة، ولطلب العلم، بالإضافة إلى أهالي الحرمين.

ومن أشهر من تتلمذ عليه:

العلامـــة صالح بن عثمان القاضي، علامة عنيزة المتوفى سنة ١٣٥١هـــ[١] حيث لازمه ست عشرة سنة .

الشـــيخ المسند المؤرخ: عبد الستار الدهلوي، صاحب التآليف العديدة في التاريخ والرجال وغيرهما.

العلامة محمد إسماعيل السلفي رحمه الله، المتوفى سنة ١٣٨٧هـــ. صاحب التآليف النافعة في خدمة العقيدة السليمة والسنة المطهرة [٢].

الشـــيخ محمـــد راغـــب الطباخ مؤرخ حلب ومسندها، حيث طلب منه الإجازة العامة ـــ بواسطة وجيه جدة العالم محمد نصيف ـــ فأجاز له قبيل وفاته بشهرين [٣] .

---

(١) ذكر ذلك حفيده الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي في كتابه: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد (١/١٥٥) أثناء ترجمته لجده. وذكر في ترجمة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويش من الزلفي، أنه سافر إلى الحجاز فقرأ على علماء المسجد الحرام وزامل جده صالح بن عثمان القاضي على مشايخه. المصدر السابق (١/١٨٢)، وكذا ذكر عن الشيخ علي بن ناصر أبو وادي (ت:١٣٦١هـــ) أنه زامل جده في طلبه على شيوخه في مكة لمدة سنتين. (المصدر السابق ٢/١١٤)

(٢) انظر: "حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد" له ـــ أي محمد إسماعيل السلفي ـــ (ص: ٣٧) أثناء ترجمة المؤلف، حيث ترجم له ابنه وذكر أن من مشايخ أبيه : أبابكر خوقير. (طبع الجامعة السلفية في بنارس الهند)

(٣) انظر: الأنوار الجلية، لمحمد راغب الطباخ (٤٣٤ ـــ ٤٣٦)

الشيخ القارئ إبراهيم بن موسى الخزامي السوداني ثم المكي القارئ المسند المعمّر، قرأ على المؤلف (١) .

الشـــيخ إبراهـــيم بن عبد الله يارشاه الدهلوي ثم المكي المعمّر، روى عن المؤلف (٢) .

الشـــيخ محمـــد بـــن حسين الفقيه المدرس بجدة (٣) في مسجد عكاش ت ١٣٥٤هـــ .

رحلاته:

رحل الشيخ أبو بكر خوقير إلى الهند في سنٍّ مبكرة عدة مرات، منها سنة ١٣٠٧هـــ والتقى بالشيخ محمد نذير حسين رحمه الله وقرأ عليه وأجاز له. وفي ســـنة ١٣١٣هـــ والتقى بالشيخ حسين بن محسن الأنصاري، حيث أجازه بمروياته. وفي سنة ١٣١٧هـــ والتقى بالشيخ محمد الهاشمي الجعفري.

---

(١) تشنيف الأسماع (ص: ٢٣)

(٢) المصدر نفسه (ص: ٢٠)

(٣) ذكره المؤلف ضمن إجازته للطباخ (ص: ٤٣٥ من الأنوار الجلية) حيث قال: "إلى آخر ما فصلته في ثبت الأثبات الشهيرة في إجازتي سنة ١٣٣٤هـــ. للشيخ الفاضل حسين الفقيه المدرس بجدة" إ.هـــ. قلت : يغلب على ظني أنه محمد حسين الفقيه. صاحب كتاب "الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي"، فإنه ممن استفاد من كتاب "فصل المقال" في كتابه "الكشف المبدي" ، فيكون قوله " حسين" بدل محمد بن حسين ، من مثل ما يحصل عند كثير الناس حيث يذكرون ويحفظون الاسم الأشهر. والله أعلم. ثم وقفت على كتاب أعلام المكيين لعبد الله المعلمي (٤١٦/١) حيث ذكر أن هذه الإجازة لمحمد بن حسين الفقيه. فصرح باسمه كاملاً. والحمد لله.

ورحـــل إلى مصـــر في شوال سنة ١٣٣٢هـــ، لطبع كتبه، والتقى بكبار العـــلماء هناك وأثنوا عليه وعلى كتبه، وخصوصاً كتابه ما لا بد منه في أمور الدين، حيث قرظوا كتابه تقريظاً حسناً[١] .

مؤلفاته:

برغم الظروف الصعبة التي مرّ بها الشيخ خوقير، فلم تخلُ من مؤلفات تسرّ الناظرين. وهذه أسماء ما وقفت عليه من أسماء مؤلفاته:

١ ــ فصل المقال وأرشاد الضالّ في توسل الجهال؛ وهو الكتاب الذي بين أيديـــنا، انـــتهى منه سنة ١٣٢٤ هـــ لأربع بقين من شعبان، وطبع في السنة نفسها. بمطبعة مجلة المنار الإسلامية بمصر.

٢ ــ تحريـــر الكلام في الجواب عن سؤال الهندي في صفة الكلام. مخطوط في مكتبة الحرم المكي برقم (١٢٩٨)[٢] وقد اطلعت عليه.

٣ ــ التحقيق في الطريق في نقد طرق المتصوفة.

٤ ــ ما لا بد منه في أمور الدين[٣] ، طبع قديماً بمطبعة التمدن بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـــ، وأعيد طبعه بتحقيق الأخ خالد العنبري، وتقديم الدكتور : عبدالرحمن الخميس، سنة ١٤١٢هـــ.

---

(١) انظر خاتمة طبع كتابه ما لابدّ منه في أمور الدين. وانظر تقاريظ الكتاب في آخره.

(٢) معجم مؤلفي مكتبة الحرم المكي (ص:٢٦٤)، وهذا الكتاب لم يذكره صاحبا المنار والنموذج،

(٣) جعله الأستاذ عمر عبد الجبار في الفقه الحنفي، وهو وهم منه رحمه الله، إذ نص المؤلف رحمه الله في آخره أنه على مذهب الإمام أحمد، وكذا في مواطن من الكتاب.

٥ ــ مختصر في فقه الإمام أحمد، طبع بالمطبعة المنيرية بدمشق الشام ١٣٤٩هـ ــ ويقع في ٤٠ صفحة. قال العلامة محمد منير الدمشقي عن خوقير[١]: فدرس المرحوم المترجم له المذهب الحنبلي وتمكن فيه وبرع حتى أملى على أحد تلامذته قبل موته بمدة مختصراً في الفقه قمنا بطبعه على نفقة الفاضل الشيخ محمد بن حمد بن راشد المفتش في المدارس الأميرية والأهلية بمكة المكرمة.

٦ ــ مسامرة الضيف في رحلة الشتاء والصيف، طبع في بيروت.

٧ ــ ما لا غنى عنه شرح ما لا بدّ منه.

٨ ــ حسن الاتصال بفصل المقال في الرد على بابصيل وكمال.

٩ ــ السجن والمسجونون[٢]، ولعله ألّفه بعد الذي عاناه أثناء سجنه أيام الشريف حسين، تسلية للمصابين وتصبيراً للمبتلين.

١٠ ــ ثبت الأثبات الشهيرة[٣] ، موجود منه نسخه في مكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٤٢٧٣) عام.

١١ ــ ما لا يسع المكلف جهله[٤] .

---

(١) نموذج من الأعمال الخيرية (ص: ٩٨)

(٢) تفرد بذكر هذه المؤلفات الثلاثة العلامة رشيد رضا وتبعه على ذلك صاحب النموذج.

(٣) ذكره المؤلف ضمن إجازته لمحمد راغب الطباخ؛ انظر: "الأنوار الجليلة في مختصر الأثبات الحلبية" (ص: ٤٣٥) وانظر: "معجم مؤلفي مخطوطات الحرم المكي"، وأفادني الدكتور يوسف المرعشلي حفظه الله : أنه طبع بتحقيق : محمد عبد الله آل الرشيد، بمكتبة الإمام الشافعي.

(٤) ذكره الدهلوي في فيض الملك .

تجربته ووصيته لطلبة العلم:

كـــان رحمه الله يوصي بقراءة صحيح البخاري، ويقول[١] : «إني جربت بـــركة قـــراءته... وعرفت شرح الحديث بعضه ببعض من تراجمه وتكريره في أبوابـــه، كمـــا اســـتفدت من قراءة مسند الإمام المبجل إمامنا أحمد بن حنبل وروايـــته مـــع مـــراجعة كتب الغريب، وضبط اللفظ في مثل النهاية و (مجمع الـــبحار) والقاموس، ويقول أيضاً: إنه يكفي للطالب المبتدي قراءة بلوغ المرام وعمـــدة الحديث، وللطالب المنتهي المشكاة والمنتقى وتلخيص الحبير[٢] ، فإنها جمعت ما في الكتب الصحاح مع بيان الصحيح من السقيم، وليس في الحديث مـــا دخلـــه النســـخ إلا القليل، ويكفي فيه كتاب الاعتبار في ناسخ الحديث ومنسوخه من الأخبار».إ.هـــ.

وفاته:

بعد عمر طويل قارب السبعين سنة أمضاها العلامة أبو بكر خوقير، بين تدريس وإفتاء وإمامة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وسجن وتعذيب وقهر وصبر، أصيب بمرض الزحار[٣] فتوفي بالطائف مصطاف أهل الحجاز بعد أن مرض أياماً، في يوم الجمعة غرة ربيع الأول من عام ١٣٤٩هــ رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا وإياه في مستقر رحمته[٤] . آمين.

---

(١) فيض الملك المتعالي.

(٢) الصواب: أن يقال: التلخيص الحبير. والله أعلم.

(٣) الزحار: استطلاق البطن بشدة، وتقطيع في البطن يمشّي دماً. (القاموس؛ ص:٥١١)

(٤) المنار والنموذج.

وتوفي في هذه السنة من العلماء الأعيان: العلامة سليمان بن سحمان، في شهر صفر[1]، والعلامة سعد بن حمد بن عتيق في جمادى الآخرة. [2]. والعلامة الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي علامة الكويت، في شهر رمضان [3]،رحمهم الله رحمة واسعة وجمعنا وإياهم في مستقرّ رحمته، آمين.

---

(١) روضة الناظرين (١/ ١٢٥ ــ ١٢٩) والمنار (المجلد: ٣١/ جـ:٣ ص:٢٣٨ ــ ٢٣٩)
(٢) روضة الناظرين (١/١١٠)
(٣) تراجم متأخري الحنابلة للعلامة سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان (ص:١٤٣)

التوسل : أنواعه وأحكامه

قبل الدخول في قسم التحقيق لعله من المستحسن أن أتكلم عن التوسل وما يشرع منه وما يمنع ، والفرق بينه وبين الاستغاثة، على سبيل الاختصار.

تعريف التوسل لغة :

الوسيلة : الرغبة والطلب والقربة ، والواسطة ، وهي : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، وجمعها وسائل . ويقال : وسّل وتوسل إلى الله توسيلا : إذا عمل عملاً تقرب به إليه .

والواسل : الراغب إلى الله عز وجل .

فالتوسل : التقرب[1].

تعريف التوسل اصطلاحاً : من خلال التعريف اللغوي للتوسل يتبين أن التوسل في الاصطلاح : " هو التقرب الى الله تعالى بوسيلة " .

وهذه الوسيلة ، إما أن تكون مشروعة ، شرعها الله عز وجل . أو ممنوعة لم يأذن الله بها .

فالتوسل الشرعي : هو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة مشروعة .

والتوسل البدعي الممنوع : هو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة غير مشروعة .

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (٦ / ١١٠) والنهاية في غريب الحديث (٥ / ١٨٥) والقاموس المحيط (ص : ١٣٧٩) .

وسوف أتكلم إن شاء الله عن قسمي التوسل : المشروع والممنوع ؛ وأبدأ:

أولاً : **بالتوسـل المشـروع** : وهو أن يتقرب العبد إلى الله تعالى بكل ما شرعه له من العبادات والأعمال الصالحة . قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة:٣٥] " أي تقـربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه "[1] ، فالعبد يصلي ليـتقرب إلى الله تعـالى ، ويصوم لينال رضى الله عز وجل ، ويجاهد كذلك ، ويحـب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ليتقرب بحبه إلى الله تعالى ، ويعمل الخـيرات من أجل ذلك . فكل ما شرعه الله عز وجل من الأقوال والأفعال " ومراعاة سبيله بالعمل والعبادة وتحري مكارم الشريعة "[2] وسيلة الى الله سبحانه يتوصل بها إلى ربه ليغفر له ذنبه ويحل عليه رضوانه .

"فابتغاء الوسيلة إلى الله إنما يكون لمن توسل إلى الله بالإيمان بمحمد واتباعه، وهـذا التوسـل بالإيمـان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال، باطناً وظاهـراً ، في حـياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته ، في مشهده ومغيـبه ، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ، ولا بعذر من الأعذار ، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته ... ومحمد ﷺ أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين ...

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٥) .

(٢) مفردات الراغب (ص : ٧٨١) .

ولفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى ، والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به ، وأما بدون الإيمان به ، فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة "[١].

فالتوسل المشروع الى الله تعالى قسمان :

الأول : توسل بالإيمان بالله تعالى والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك من عبادة وطاعة .

الثاني : توسل بدعاء الله ومسألته .

والقسم الأول : يدخل تحته التقرب والتوسل بكل ما شرعه الله تعالى من شرائع وعبادات .

والقسم الثاني : " أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سبباً في قبول دعائه ، ولابد من دليل على كون هذا الشيء سبباً للقبول ، ولا يعلم ذلك إلا من طريق الشرع "[٢] " وقد شرع لنا عز شأنه أنواعاً من التوسلات المشروعة المفيدة المحققة للغرض والتي تكفل الله بإجابة الداعي بها ، اذا توفرت شروط الدعاء الأخرى "[٣] .

ولقد تتبع أهل العلم الآيات والأحاديث الصحيحة التي فيها دعاء الله سبحانه بوسائل، فبعضهم ذكر ثلاثة أنواع من الوسائل ، وبعضهم زاد أنواعاً أخرى. وكل هذه الأنواع مشروعة ثابتة " شرعها الله تعالى، وحث عليها، وَرَدَ بعضُها في القرآن، واستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحض عليها، وليس في

---

(١) التوسل والوسيلة (ص:٣ — ٤)

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٧٦/١)

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه (ص:٣١ — ٣٢)

هذه الأنواع التوسل بالذوات أو (الجاه) أو الحقوق أو المقامات، فدل ذلك على عدم مشروعيته "[١] كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقد أنكر الله تعالى على من اتبع شرعا بدون إذنه ، وجعله من الشرك فقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١] [٢].

وأما الأنواع المشروعة فهي[٣]:

النوع الأول : التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله . فيتوسل الى الله تعالى بالاسم المقتضي لمطلوبه ، أو بالصفة المقتضية له ، أو بالفعل المقتضى له ، كأن يقول المسلم في دعائه : " اللهم اني أسألك بأنك أنت أرحم الراحمين ، اللطيف الخبير أن تعافيني " أو يقول : " أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي " ، ومثله قول القائل: اللهم اني أسألك بحبك لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فان الحب من صفاته تعالى.

والدليل على استحباب هذا النوع من التوسل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] والمعنى ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى.

(١) التوسل أنواعه وأحكامه (ص: ٣٢)

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧٦/١)

(٣) انظر هذه الأنواع : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ٣٢ — ٤٦) ومجموع فتاوى ابن عثيمين (١ / ٧٦ — ٨٨)

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل:١٩].

ومنه قول الرسول ﷺ في دعائه في صلاته قبل السلام : (**اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ...**) الحديث[1].

النوع الثاني : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته : دليله ومثاله قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [آل عمران:١٩٣] أي فاغفر لنا ذنوبنا لأننا آمنا بك ، واتبعنا منادي الإيمان، ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٩] وقوله عن الحواريين: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران:٥٣].

ومن ذلك توسل أصحاب الغار الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة الغار ، فتوسل كل واحد بعمل عمله كان خالصاً لله تعالى ، فتوسل الأول ببر والديه ، والثاني بالعفة عن الحرام ، والثالث بإعطاء الأجير حقه زائداً غير ناقص، وإعطاؤه إياه نامياً زائداً[2]، فهذه أعمال صالحة ، توسل بها أصحابها إلى الله

---

(١) رواه النسائي (السهو ــ باب ٦٢ ــ ٣ / ٩٢ رقم ١٣٠٤) والحاكم (١/ ٥٢٤) وصححه ووافقه الذهبي والألباني (التوسل ص : ٣٣) .

(٢) انظر الحديث بطوله في البخاري (الإجارة ــ باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد ــ ٤/ ٥٢٥ ــ ٥٢٦ رقم:٢٢٧٢) ومسلم (الرقاق ــ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ــ ٤/٢٠٩٩ ــ ٢١٠٠ رقم:١٠٠).

تعالى ليكشف عنهم الغار فانكشف ، وخرجوا يمشون ، وقصها لنا رسول الله ﷺ وأقرها ، فدل على أنه يجوز أن يتوسل العبد بعمله الصالح.

النوع الثالث : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح ، ممن يظن أنه ترجى إجابة دعائه ، كأن يقع مسلم في ضيق شديد ، أو تحل به مصيبة كبيرة ، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى ، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله ، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى ، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة ، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه ، وهذا النوع أيضاً دلت عليه السنة المطهرة، وأرشدت إليه ، كتوسل الصحابة بدعاء رسول الله ﷺ حينما أجدبوا [١]، وكتوسل عمر بن الخطاب بدعاء العباس عام الرمادة[٢]، وكقول عكاشة بن محصن للنبي ﷺ : " ادع الله أن يجعلني منهم "[٣].

وهذا النوع من التوسل لا يكون إلا أثناء حياة الداعي ، لأنه هو الذي يدعو الله عز وجل ، وأما بعد موته فلا يطلب منه ذلك [٤].

ولم يستحب بعض العلماء هذا النوع من أنواع التوسل ، لأن طلب الدعاء من الغير فيه ضعف في النفس ، وقلة توكل على الله عز وجل ، وفيه فتح لباب

---

(١) روى ذلك البخاري (الاستسقاء ــ باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ــ ٢/ ٥٨٩ رقم: ١٠١٤) ومسلم (الاستسقاء ــ باب الدعاء في الاستسقاء ــ ٢/ ٦١٢ــ ١٦٣ رقم:٨) روياه مختصراً ومطولاً بعدة روايات.

(٢) انظر تخريجه (ص:١٢٣)

(٣) رواه البخاري (الطب ــ باب من اكتوى أو كوى غيره ــ ١٠/ ١٦٣رقم ٥٧٠٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (الإيمان ــ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ــ ١/١٩٩ رقم: ٢٢٠)

(٤) قال الوالد الكريم: "طلب الدعاء من الناس فيه نظر، وكأن ما روي لا يقاس عليه".

الغرور على المطلوب منه الدعاء ، فإن ابن آدم ضعيف ، فقد يغتر بطلب الناس منه الدعاء ، ولا شك أن سد هذا الباب هو المطلوب .

ولقد ذكر شيخ الاسلام ــ رحمه الله ــ ثلاث مفاسد لسؤال المخلوقين[١]:

١ ــ مفسدة الافتقار إلى غير الله.

٢ ــ ومفسدة إيذاء المسئول ، وهي نوع من ظلم الخلق ، والعبد مأمور بالاحسان إلى عباد الله .

٣ ــ وفيه ذل لغير الله ، وهو ظلم النفس، ومطلوب من العبد أن يكون ذليلاً لله مفتقراً إليه.

فهو مشتمل على أنواع الظلم الثلاثة .

ولهذا لم يعرف قط أن الصديق ونحوه من أكابر الصحابة سألوه شيئاً من ذلك ، ولا سألوه أن يدعو لهم ، وإن كانوا يطلبون منه أن يدعو للمسلمين .

قال العلاّمة محمد بن صالح العثيمين حفظه الله تعالى بعد كلامه عن هذا النوع[٢]: "هذا جائز ولكني لا أحبذه، وأرى أن الإنسان يسأل الله تعالى بنفسه دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله، وأن ذلك أقوى في الرجاء وأقرب إلى الخشية، كما إنني أيضاً أرغب من الإنسان إذا طلب من أخيه الذي ترجى إجابة دعائه أن يدعو له أن ينوي بذلك الإحسان إليه ــ أي إلى هذا الداعي ــ دون دفع حاجة هذا المدعو لأنه إذا طلبه من أجل دفع حاجته صار كسؤال المال وشبهه المذموم، أما إذا قصد بذلك نفع أخيه الداعي بالإحسان إليه

---

(١) انظر التوسل والوسيلة (ص : ٦٦) وانظر أيضاً (ص : ٥١ وما بعدها) .

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٨٦/١)

ــ والإحسان إلى المسلم يثاب عليه المرء كما هو معروف ــ كان هذا أولى وأحسن، والله ولي التوفيق. انتهى[١].

النوع الرابع[٢]: أن يتوسل الى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته، كقول موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص؛ آية:٢٤] ، ومنه ــ والله أعلم ــ قوله تعالى في أول سورة مريم ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم؛ آية:١ــ٦] وغيرها من الآيات .

ثانياً : التوسل الممنوع : وهو التوسل إلى الله بوسيلة لم يأت بها الشرع .

وهو نوعان[٣]:

أحدهما : أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع كتوسل المشركين بآلهتهم ، وبطلان هذا ظاهر .

الثاني : أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع وهذا محرم ، مثل أن يتوسل بجاه شخص ذي جاه عند الله ، فيقول : أسألك بجاه نبيك ، فلا يجوز ذلك ،

---

(١) قال الوالد: "قول ابن عثيمين: حسن".

(٢) (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين :١ / ٧٧) والمتتبع لآيات الدعاء في القرآن قد يجد أشياء أخرى ، كتقديم الاعتراف بالذنب ، وكتقديم شكر النعم، وقد تدخل في غيرها من الأنواع السابقة .

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين (٧٨/١)

لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع ، ولأن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء ، لأنه لا يتعلق بالداعي ولا بالمدعو ، وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده، فليس بنافع في حصول المطلوب أو دفع المكروب ، ووسيلة الشيء ما كان موصلاً إليه. والتوسل بالشيء إلى ما لا يوصل إليه نوع من العبث، فلا يليق أن يتخذه العبد فيما بينه وبين الله تعالى .

فالحاصل أن جاه ذي الجاه له وليس لغيره ، فالله قد أكرمه وأعطاه هذا الجاه بما من عليه من إيمان وعمل صالح ، فكيف يطلب الإنسان من الله ما لا يملكه الطالب ولا سبب له به ، بخلاف ما لو سأله بأعماله وإيمانه فانها منه وهي بسببه، فهذا سؤال بسبب مقتض لحصول ما يريد، بينما السؤال بجاه الغير سؤال بما لا يملك الإنسان ، فليس بوسيلة للمتوسل، بل الجاه لصاحبه .

وسؤال الله بغير الله إما تكون الباء للقسم أو للسبب ، فإن كانت الأولى فلا يجوز السؤال بها ، وإن كانت الباء سببية جاز .

قال الإمام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله: " والسائل لله بغير الله إما أن يكون مقسماً عليه ، وإما أن يكون طالباً بذلك السبب، كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم، وكما يتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين، فإن كان إقساماً على الله بغيره فهذا لا يجوز، وان كان سؤالاً بسبب يقتضي المطلوب كالسؤال بالأعمال التي فيها طاعة الله ورسوله مثل السؤال بالإيمان بالرسول ومحبته وموالاته ونحو ذلك فهذا جائز .

وإن كان سؤالاً بمجرد ذات الأنبياء والصالحين فهذا غير مشروع ، وقد نهى عنه غير واحد من العلماء ، وقالوا : إنه لا يجوز ، ورخص فيه بعضهم[1]،

---

(١) انظر (ص: ٧٥) من التحقيق وما بعدها.

والأول أرجح ... وهو سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب ، بخلاف من كان طالباً بالسبب المقتضي لحصول المطلوب ، كالطلب منه سبحانه بدعاء الصالحين وبالأعمال ، فهذا جائز ، لأن دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به ، وكذلك الأعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا ، وإذا توسلنا بدعائهم وأعمالنا كنا متوسلين اليه تعالى بوسيلة ، كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥] والوسيلة هي الأعمال الصالحة. وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧].

وأما إذا لم نتوسل إليه سبحانه بدعائهم، ولا بأعمالنا، ولكن توسلنا بنفس ذواقم لم تكن نفس ذواقم سبباً يقتضي إجابة دعائنا، فكنا متوسلين بغير وسيلة، ولهذا لم يكن هذا منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً صحيحاً، ولا مشهوراً عن السلف"[1].

وهذا التوسل البدعي هو غير الاستغاثة بالأموات والأولياء، فإن هذا شرك عظيم وهو من شرك الجاهلية، كما وضحه المؤلف ــ رحمه الله ــ في كتابه، وهو الذي يسميه العوام وبعض علماء أهل البدع توسلاً، فيخلطون بين التوسل الذي مرّت صورته وأنواعه، وبين الطلب من الأموات والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم، وقد بين المؤلف رحمه الله خلال رده على الهنديّ الفرق بين الأمرين، ورد على شبهات القبوريين.

(١) قاعدة جليلة (ص: ٢٧٤ ــ ٢٧٥).

اضطراب المنهج عند أهل البدع:

إن من سمات أي مذهب يخالف مذهب أهل السنة والجماعة ـ الاضطراب والتناقض والحيرة ـ وهذا شيء ملاحظ بلا شك ولا ريب، وليس هنا مكان التفصيل وضرب الأمثال، بل الذي يهمنا في هذا الموطن مسألة واحدة: وهي الاحتجاج بخبر الواحد في العقائد، فإن كثيراً ممن ينكر حجية أحاديث الآحاد ولا يقبلها في العقائد ، تجده يعتمد الكشف في تلقي العلوم، وتجده يقبل أحاديث ضعيفة بل موضوعة لإثبات عقيدة أو إبطال أخرى أو يؤمن بالمغيبات السابقات ، أو المستقبلة وأمور الآخرة، أو غيرها مما لا يعلم إلا بالنصوص الثابتة ، فتجده يؤمن بالاسرائيليات، وبروايات ضعيفات واهيات، كحديث توسل آدم عليه السلام بالنبي محمد ﷺ ، أو يعتمد روايات ليست بالمرفوعات، مع ضعفها ووهائها، مع أن منهجه عدم الاحتجاج بالحديث المرفوع الصحيح في العقائد، وخصوصاً إذا خالف أصلاً من أصول الدين، أو أنه يعتمد على الرؤى والمنامات والأحلام لإثبات أن الأولياء يعلمون الغيب، أو يتصرفون في قبورهم، بل يخرجون منها لقضاء حوائج الناس، ويجعلون هذا من الحجج التي لا تدفع، والبراهين التي لا تدمغ، فهذا على سبيل المثال : إبراهيم البيجوري يؤمن بكل خرافة ترد عن أصحاب القبور والمشاهد، ويؤمن بكل ما يؤيد مذهبه ، وأما إذا جاء حديث صحيح يخالف ما اعتقده ورآه ردّه أو أوَّله وَلَوَاه ، فها هو تجده يضعف حديث أن والد الرسول ﷺ في النار[1] لأنه حديث آحاد ويثبت له ولزوجه آمنة الإيمان وذلك بعد أن أحياهما الله تعالى، وفي هذا

---

(١) رواه مسلم (الإيمان ـ باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين ـ ١ / ١٩١ رقم ٢٠٣) .

الأمر الأخير حديث ضعيف بل منكر[١]، وحينما استشكل ضعف الحديث قال: ولعلــه صــح بطــريق الكشف[٢]، فانظر التناقض عند أهل البدع حيث رد

(١) حديث احياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ذكره السهيلي في الروض الأنف (٢ / ١٨٧) وقال : " في اسناده مجهولون " ، وقال ابن كثير : " إنه حديث منكر جداً ، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم . ا . هـ . البداية والنهاية (٢ / ٢٨١) .

وأما حديث إحياء آمنة والدة الرسول صلى الله عليه وسلم، فرواه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ (ص : ٤٨٩ ـــ ٤٩٠ رقم ٦٥٦) والدارقطني في غرائب مالك (أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم ص : ٨٥) ورواه الخطيب في السابق واللاحق (انظر ص : ٣٧٧) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٨٣ ـــ ٢٨٤) ومن طريق الخطيب أيضاً الجورقاني في الأباطيل (١/ ٢٢٣ ـــ ٢٢٤) وابن عساكر في غرائب مالك (الميزان للذهبي ٣٠٥/٤، وأدلة المعتقد ص : ٨٥) قال ابن الجوزي: موضــــوع بلا شــــك . وقــال الجورقاني : باطل، وقال الحافظ ابن دحية: موضوع يرده القرآن والاجماع، وقال ابن عساكر : حديث منكر، وقال الإمام ابن تيمية (٤/ ٣٢٤ ـــ الفتاوى):" أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق... فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذباً كما نصّ عليه أهل العلم... ثم هذا خلاف الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع ". وقال الذهبي في الميزان (٦٨٤/٢) : هذا الحديث كذب مخالف لما صح أنه ﷺ استأذن ربه في الاستغفار فلم يأذن له. وقال ملا علي قاري : ضعيف باتفاق المحدثين كما اعترف به السيوطي . ثم قال : إنه من وضع الرافضة ونسبوه إلى عائشة ليبعدوا الشبهة . انظر أدلة معتقد أبي حنيفة (ص: ٧٨، ٩٠) . وانظر أيضاً كلام ابن الجوزي في الموضوعات حول هذا الحديث وتعليقات الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي على الأباطيل للجورقاني، فإنه مهم .

(٢) انظر شرح الجوهرة (ص: ٣٠) وهو بذلك تبع لابن عربي الصوفي المارق، وغيره ممن سار على دربه، فاسمع إليه إذ يقول:" فربّ حديث يكون صحيحاً من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف أنه غير صحيح لسؤاله لرسول الله ﷺ ، فيعلم وضعه ويترك العمل به، وإن عمل به أهل النقل لصحة طريقه، ورب حديث ترك العمل به لضعف طريقه، من أجل وضاع في رواته يكون صحيحاً في نفس الأمرلسمع المكاشف له من الروح حين إلقائه على رسول الله ﷺ. انتهى.نقلاً عن مقدمة العجلوني لكشف الخفاء مقراً له ومستدلاً بهذا الهراء (١/ ١٠) وهكذا أصبحت السنة تبعاً لأصحاب المكاشفات والأهواء، وهكذا أصبح الولي مشاركاً للنبي ﷺ في سماع الحديث حين ألقاه إليه الروح ـــ جبريل ـــ .

الصحيح الثابت وأثبت الضعيف الواهي ، وهكذا دأب أهل البدع والأهواء[1].

" ولا ميزان عند هؤلاء إلا هواه لا غير، وما يخالف هواه لا يبالي به ولوكان في الصحيحين عن جماعة من الصحابة ، ويحتج بما يحلو له من الروايات في أي كتاب وجد وفيما يحتج به الواهي والساقط والموضوع" [2] .

وهكذا نجدهم في مسألة الاستغاثة بالقبور والاستنجاد بها يلهثون خلف الأحاديث الضعيفة المنكرة والموضوعة، ويستدلون بها، ومنهجهم أنهم لا يقبلون حديث الآحاد الصحيح في العقائد، فكيف يقبلون هذه الروايات الهالكات في أم العقائد ــ وهي التوحيد ــ، إن هذا ليحتاج منا إلى شكر لله على الهداية لمنهج السلف الصالح، فله الحمد على أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. آمين..

كتب مصنفة في التوسل:

١ ــ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، للإمام أحمد بن تيمية.

٢ ــ القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي، للعلامة محمد بن أحمد بن عبد السلام خضر الحوامدي القشيري، صاحب كتاب السنن والمبتدعات.

---

(١) رد عبد الله محمد الصديق الغماري على السخاوي في المقاصد الحسنة (ص : ٢٥) قوله : "والذي أراه الكف عن التعرض لهذا نفياً وإثباتاً " قال الغماري: "كلا بل نجزم بنجاتهما يوم القيامة لعدة وجوه ودلائل بيّنها السيوطي في رسائله في هذا الموضوع بياناً شافياً أزال كل شبهة فرضي الله عنه وأرضاه ، أما علي القاري فله رسالة يؤكد فيها أنهما في النار، وهي منه جرأة مذمومة" . ا . هـــ كلام الغماري .

كيف تكون جرأة مذمومة ، وعمدته الأحاديث الصحيحة المرفوعة، وأقواله بأقوال السلف وأهل العلم مشفوعة، بل الذي يُذم المتقول على الله بلا علم، أو بحديث ضعيف جداً ومنكر بل وموضوع هذا مع مخالفته للقرآن والحديث الصحيح والإجماع كما تقدم.

(٢) الأنوار الكاشفة للمعلمي (ص:٨٨)

٣ ــ التوسل أنواعه وأحكامه، للمحدث الألباني، وتلميذه البار الفاضل عيد عباسي.

٤ ــ التوصل إلى حقيقة التوسل، للعلامة الأديب محمد نسيب الرفاعي ــ رحمه الله ــ.

٥ ــ التوسل؛ للداعية محمد بن جميل زينو.

٦ ــ التوسل؛ إعداد : أبو لوز ، أعده من كلام أهل العلم المعاصرين، كالألباني وابن عثيمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستهديك، ولا نعبد أحداً غيرك، ولا نرجو سواك، ولا نتوكل إلا عليك، ولا نستعين إلا بك، ولا ندعو سواك، ولا نلجأ إلا إليك. ونصلي ونسلم على من أرسلته بإخلاص العبادة والعبودية ، والذب عن حماك في الألوهية، وعلى آله وأصحابه ، والتابعين وتابعهم"وأحزابه، يا مجيب دعاء المضطرين، ويا أمان الخائفين من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرك ومتابعة رسولك ، والجهاد في سبيلك .

أما بعد : فقد بلغني ورود رجل من أفاضل الهند إلى ثغر جُدة المحروس، فوصلت إلى محله للسلام عليه حباً في العلم وأهله، فحصلت معه مذاكرة في التوسل وما تفرع عنه من توسع الناس فيه قولاً وفعلاً، فظهر من هذا الرجل تعصب جاهلي، وقال: إن آدم توسل بالنبي ﷺ وأنه ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧] أنه قال : « يا رب بحق محمد اغفر لي » . فكتبنا له عبارات الإمام ابن جرير، والإمام ابن كثير في تفسير تلك الآية ــ وسيأتي نصها ــ فأرسل إلينا رسالة بإمضائه، هكذا: (المفتي: أحمد حسن الجالندري) وقد أفرغ في هذه الرسالة ما في جعبته، وأعرب عن وقاحته وجهله المركب، وما عنده من فاسد التعصب، وبرهن بلحنه وتراكيب عباراته على عدم معرفته كلام العرب، وأضاف إلى عجمته وجهله الكذبَ وسوءَ الأدب.

يقـــول فيها: صديقي وخليلي الشيخ عبد القادر[(١)]،ثم يتهكم معيراً لنا بتعاطي التجارة كأنه يرى استحالة اجتماعها مع العلم [(٢)]، ألم يعلم بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاطَون أسباب التجارة والحِرفة؟ ولم يمنعهم الصفق في الأسواق من الصلاة مع رسول الله ﷺ والاهتداء بهديه حتى نوه بشأنهم في القرآن العزيز بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ [النور:٣٧] وكان من أعظمهم ثروة عبد الرحمن ابن عوف الذي اختاره [عمر] [(٣)] فيمن انتخبه للخلافة والشورى، وقد اتجر كـــثير مـــن العلماء والأئمة وتعاطَوا أسباب الحِرفة وطلب المعيشة، وقد ذكر بعضـــهم أن الغـــنى مما يزيد في العقل. وقد أجمع أهل العلم على أن العلم ليس

---

(١) إما أن يكون المقصود كنية الشيخ (أبو عبد القادر) وسقطت (أبو) من الأصل، أو يكون ذهب إليه هو والشيخ عبد القادر التلمساني فأتت الرسالة الجوابية باسم الشيخ عبد القادر وتولى الرد الشـــيخ أبـــو بكر، وأما الشيخ عبد القادر فهو العلامة الجليل والمحسن الكبير عبد القادر بن مصطفى التلمساني المغربي الأشعري ثم السلفي، تلقى علومه في الأزهر، وكان صاحب أملاك بمصر ثم قدم إلى جدة للتجارة، فدرس على بعض شيوخها، وبحكم تجارته اتصل بالشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى القاضي في محكمة المجمعة (شارح نونية ابن القيم) فتباحثا في بعض القضايا المـــثارة حول الوهابية والسلفية، وبعد خمسة عشر يوماً من المناقشات والمناظرات وقراء الكتب رجع الشيخ التلمساني إلى عقيدة السلف، وصار داعية من دعاة الدعوة الصافية، يجاهد في سبيل نشرها بلسانه وماله؛ فكم من كتاب طبع وكم من كتاب اشترى ووزع، رحمه الله تعالى.انظر: انظر علماء نجد خلال ستة قرون (١/١٥٦ـــ ١٥٧) ومقدمة الرد على شبهات المستعينين بغير الله لابن عيسى، تقديم : محمد نصيف، ومقدمة شرح النونية لابن عيسى أيضاً (١/١٧) بقلم: العلامة محمد بن مانع رحمه الله.

(٢) قـــال الوالد الكريم ـــ حفظه الله تعالى ـــ:"التجارة والعمل الصالح في الكسب للعيال هما من إحســـان عـــبادة الله سبحانه، ومما يزيد هدى المستهدين، وأما الغرق بين الكتب فقط من غير نصـــح المسلمين ومعاشرتهم، والصبر على أذى الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا من النقص وقد وُصف رسولُ الله ﷺ أنه يمشي في الأسواق، والمشي في الأسواق لا يكون من غير حاجة وعمل".

(٣) مـــا بين معقوفتين ليس في الأصل، وأثبته ليستقيم الكلام، وقد اختار عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف لكونه أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ .(الإصابة ٦/٣١١)

بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في قلب من شاء، كما قاله الإمام مالك[1]،وكما في الحديث: (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**) [2] .

نعم ينبغي أن يُعَيَّرَ العالم إذا تاجر بعلمه، وجعله شبكة يصطاد به الدنيا، أو يخدم أغراض الحكام حتى يحصل مرتباً أو لقباً مثل خطاب (شمس العلماء). نعم ينبغي أن يعير العالم إذا تصدر(للفتيا) وهو ليس أهلاً لها وتجاسر على القول بما لا يعلم، وأسرع في الجواب ولم يرقب رب الأرباب، فقد قال ﷺ: (**أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار**) [3] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦]

---

(١) ورد عن مالك بعدة ألفاظ، فرواه ابن وهب عن مالك ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/١٧ ــ ١٨و٢/ ٢٥) بلفظ:"الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل" ورواه ابن عبد البر في الجامع (٢/٢٥) بلفظ: " ليس الفقه بكثرة المسائل ولكن الفقه يؤتيه الله من يشاء من خلقه" وورد عنه بلفظ: "إن العلم ليس بكثرة الرواية، ولكنه نور جعله الله في القلوب." ورواه ابن عدي في الكامل (١/٣٨) ورواه ابن حبان في روضة العقلاء (ص: ٦٤ ــ ٦٥ تحقيق: علي بن مشرف العمري) عن ابن القاسم عن مالك رحمه الله، بلفظ:" ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية" وروى أحمد في الزهد (ص:٢٣١رقم:٨٦٥ دار الكتاب العربي) وأبو داود في الزهد أيضاً (ص:١٩٠ رقم:١٨٢الهندية) وابن عدي في الكامل (١/٣٨) وابن حبان في الروضة (ص:٦٤) والطبراني في الكبير (٩/١٠٥ رقم:٨٥٣٤) والبيهقي في المدخل (ص:٣١٤ رقم:٤٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١/١٣١) وابن عبد البر في الجامع (٢/٢٥) عن عبدالله بن مسعود موقوفا، بنحو قول مالك الأخير.قال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٣٥): وإسناده جيد، إلا أن عوناً لم يدرك ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري (العلم ــ باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ــ ١/١٩٧ رقم :٧١) وفي مواضع أخرى من صحيحه، ومسلم (الزكاة ــ باب النهي عن المسألة ــ ٢/ ٧١٨، ٧١٩ رقم:١٠٣٧) و (الإمارة ــ باب قوله ﷺ لا تزال طائفة ــ٣/ ١٥٢٤ رقم : ١٧٤) .

(٣) رواه الدارمي في السنن (المقدمة رقم: ١٥٧) عن عبيد الله بن أبي جعفر مرسلاً، وعزاه في كشف الخفاء (١/٥٠) لابن عديّ في الكامل: عن ابن لهيعة عن عبد الله بن جعفر مرسلاً، و لم أقف عليه في المطبوع، وانظر ضعيف الجامع (رقم:١٤٧) والسلسلة الضعيفة (٤/٢٩٤ رقم: ١٨١٤) ووقع في كشف الخفاء وضعيف الجامع: عبد الله بن جعفر، والله أعلم

وأعظم الناس جرأة على الله وافتراءً على رسوله، القصاصون الذين نصبوا أنفسهم للوعظ على جهل مثل هذا الرجل، فليس عندهم من العلم والحياء من الله ما يمنعهم من انطلاق ألسنتهم في القول بما يكون، بل يهرفون[١] بما لا يعرفون، ليستميلوا العامة ويصرفوا وجوه الناس إليهم، ملبسين عليهم بزي أهل العلم والتصوف، ورأس مالهم الوقاحة بمحض الدعوى وصلافة الوجه[٢] .

وقد اتفق فيما مضى أن جلس الإمام أحمد بن حنبل والإمام يحيى بن معين في حلقة قصاص وهو يقول: حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن معين وصار الإمامان يلتفت أحدهما على الآخر ويقول كل منهما لصاحبه: هل سمعت هذا الحديث؟ هل حدثت به؟ فيقول: لا؛ فجاء إلى ذلك القصاص بعد فراغه من الوعظ، فقال: يا رجل إننا فلان وفلان، وكلانا لم نسمع بما حدثت، فكيف ترويه عنا؟. فقال: كنت أظن أن لكما عقلاً؛ إني رويت عن سبعين رجلاً اسمه أحمد بن حنبل وسبعين رجلاً اسمه يحيى بن معين، أتظنان أن ليس في الوجود غيركما؟ فتركاه وانصرفا يتعجبان من وقاحته[٣]. فهم أصل كل بلية في الأحاديث الموضوعة.

---

(١) يقال: هَرَف يهرف: أطرأ في المدح إعجاباً به، أو مدح بلا خبرة، يقال: لا تهرف بما لا تعرف (القاموس،ص:١١١٤)

(٢) أي يتمدحون بما ليس عندهم ، ويتجاوزون الحدّ في ذلك تكبراً مع شدتهم وصلابتهم وقلة خيرتهم، وثقل روحهم (انظر مختار الصحاح، ص:٣٦٨ ،والقاموس؛ ص: ١٠٧٠ــ ١٠٧١).

(٣) روى هذه القصة ابن حبان في مقدمة المجروحين (٨٥/١) وأبو أحمد الحاكم في الكنى (اللآلىء المصنوعة ٣٤٦/٢) وابن الجوزي في مقدمة الموضوعات (١/ ٤٦) وأنكرها الذهبي في الميزان في ترجمة: إبراهيم بن عبد الواحد البكري .قال الذهبي: لا أدري من هو ذا ! أتى بحكاية منكرة، أخاف ألاّ تكون من وضعه. ثم ذكرها، وأقرّه ابن حجر في اللسان (انظر الميزان ٤٧/١، واللسان٧٩/١ وتتريه الشريعة ١٤/١).

وقد قيّض الله رجالاً في كل زمان ومكان لنصرة دينه بإحقاق الحق وإبطال الباطل وكشف حال المدلس العاطل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، لما أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه. وقال ﷺ:(**من كتم علماً لجمه الله بلجام من نار**)[(١)].

وقال صاحب الوهبانية [(٢)]:

من الدين هتك السر عن كل كاذب وعن مدّع ما ليس فيه ويشهر

فهذا أوجب [(٣)] علينا الانتداب للرد على هذه الرسالة، فكتبنا هذه العجالة وسميناها: (**فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال**) ونسأله تعالى التوفيق والهداية إلى أقوم طريق.

---

(١) روي عن جمع من الصحابة ؛ وأكتفي بذكر رواية أبي هريرة : أخرجها الطيالسي (٣٧/١ منحة المعبود) و أحمد في المسند (٢/ ٢٦٣، ٣٠٥ ، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥، ٤٩٩) وأبو داود (العلم ـــ باب كراهية منع العلم ـــ ٦٧/٤ ـــ ٦٨ رقم: ٣٦٥٨) والترمذي (العلم ـــ باب ما جاء في كتمان العلم ـــ٢٩/٥ رقم : ٢٦٤٩) وحسنه، وابن ماجه (المقدمة ـــ باب من سئل عن علم فكتمه ـــ٩٦/١ رقم: ٢٦١) وأبو الحسن القطان في زوائده على ابن ماجه (٩٦/١ تحت رقم:٢٦١) ورواه الحاكم في المستدرك (١٠١/١) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في المدخل (ص:٣٤٦ رقم:٥٧٤) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ٤،٥) وغيرهم.وصف ابن كثير طرقه بأنه يشد بعضها بعضاً (٢٠٦/١ ـــ التفسير) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (رقم:٧٥٦١) والألباني في المشكاة (رقم :٢٢٣) وبكر أبو زيد (ص:١٢٥ من كتابه التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث) وصنف أحمد بن محمد الغماري جزءاً في طرقه سماه: ((رفع المنار ..)) مطبوع.

(٢) هو القاضي أمين الدولة عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان أبو محمد الدمشقي؛ اشتغل وتمهر وتميز بالعربية والقراءات والفقه والأدب، ولي قضاء حماة، وكان مشكور السيرة، نظم "قيد الشرائد" في ألف بيت ، ضمنها المسائل المستغربة في مذهب الحنفية، وهي المعروفة بالمنظومة الوهبانية، توفي سنة ٧٦٨هـ .*انظر ترجمته: الدرر الكامنة (٤٢٣/٢) والفوائد البهية (ص:١١٣ ـــ ١١٥) والأعلام للزركلي (١٨٠/٤ ط١١)

(٣) في الأصل: فهذا وجب، ولعل المثبت أقرب للصواب، أو يقال: فلهذا وجب.

مقدمة

اعلم أن مدار التوحيد على منتهى التعظيم القلبي بإنواع الخضوع الذي هو العبادة والعبودية، كما هو مقتضى معنى« الإله » فإنه هو ما تألهه القلوب محبة ورجاءً وخوفاً وتوكلاً، ولهذا ورد في الحديث القدسي: (**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**)[1] وحماية له وصيانة لحماه حذر النبي ﷺ من إطرائه[2] ـــ روحي له الفداء ـــ وسد ذرائع كثيرة من مظان الشرك وأنذرنا بأنه أخفى من دبيب النمل[3] . وقد بايع نفراً من أصحابه على أن لا

---

(١) قال المؤلف: " أوردنا هذا الحديث للاستشهاد بمعناه الصحيح وإن لم يصح روايةً؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في جواب (من) سأله عنه : هذا مذكور في (الإسرائيليات) ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ (ومعناه وسع) قلبه الإيمان بي وبمحبتي ومعرفتي (وإلا) من قال ذات الله تحل في قلب الناس فهذا [أكفر] من النصارى [الذين] خصوا ذلك بالمسيح وحده ا.هـ ما نقله المؤلف رحمه الله.

قال المحقق: ما بين أقواس تصحفت طباعته في الأصل ، وبعضها مصحّفٌ في مجموع الفتاوى، وما بين معقوفات من المقاصد الحسنة للسخاوي (ص: ٣٧٣) وكشف الخفاء (٢/ ١٩٥) عن ابن تيمية، وهي زيادات توضح المقصود. وانظر نص الفتوى في مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ٣٧٦).

(٢) روى البخاري (الأنبياء ـــ باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾ ـــ ٦/٥٥١ رقم:٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: ((لا تَطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله))

(٣) روى أحمد (٤/٤٠٣) والطبراني في الأوسط(٨/١٩١رقم: ٤٩٤٠ مجمع البحرين) وعزاه في مجمع الزوائد إلى الكبير (١٠/٢٢٣) عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً : ((يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل)) قال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان. وحسن الحديث الألباني في صحيح الترغيب (١/٩١) وأخرج نحوه أبو يعلى=

يسـألوا الـناس شـيئاً فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد: ناولنيه[1]. ومنع من تعليق الأوتار والتمائم وأمر بقطعها، وبعث رسوله كما في السـنن وغيرهـا [2]، وقال : (**من تعلق شيئاً وكل إليه**) [3]، ونهى عن قول الـرجل: "ما شاء الله وشئت"، وقال لمن قال له ذلك : (**أجعلتني لله نداً**) [4]، ومنع من التبرك بالأشجار والأحجار وقال لأبي واقد الليثي وأصحابه من مُسلمة الفتح لما قالوا له: اجعل لنا ذات أنواط[5] كما لهم ذات أنواط: (**قلتم والذي نفسـي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى** قال تعالى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا

=في مسـنده (١/٦٠ـ ٦٣) عـن أبي بكر رضي الله عنه، وأخرجه الحكيم الترمذي عن ابن عباس، وصححه الألباني أيضاً في صحيح الجامع (رقم : ٣٧٣٠ ـ ٣٧٣١) .

(١) رواه مسلم (الزكاة ـ باب كراهة المسألة للناس ـ ٢/٧٢١ رقم:١٠٤٣).

(٢) روى البخاري(الجهاد ـ باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ـ ٦/١٦٤رقم:٣٠٠) ، ومسلم (اللباس والزينة ـ باب كراهة قلادة الوتر في عنق البعير ـ ٣/١٦٧٢ رقم:٢١١٥)، ومالك في الموطأ(صفة النبي ﷺ ـ باب ماجاء في نزع المعاليق والجرس من العنق ـ ٣/١١٨)، وغيرهم عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً (أن لا يبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت) قال مالك: أرى أن ذلك من أجل العين.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠، ٣١١) والترمذي (الطب ـ باب ما جاء في كراهية التعليق ـ٤/ ٣٥٢ رقم: ٢٠٧٢) والحاكم (٤/٢١٦) (٤/٢٤١ تحقيق: عطا) وإسناده ضعيف، وله شاهد مرسـل عـن الحسن رواه ابن وهب في الجامع (ص:١١٣) والبيهقي (٩/٣٥١) يرتقي به إلى درجـة الحسـن. حسنه الألباني في غاية المرام (ص:١٨١) والأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول (٧/٥٧٥).

(٤) رواه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) والبخاري في الأدب المفرد (رقم: ٧٨٣ـ فضل الله الصمد) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم: ٩٨٨) وابن ماجه (الكفارات ـ باب النهي أن يقـال: ما شاء الله وشئت ـ ١/ ٦٨٤رقم: ٢١١٧) والبيهقي (٣/ ٢١٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) وغيرهم . حسنه الألباني في الصحيحة (رقم: ١٣٩)، وقال الدوسري في النهج السديد (رقم: ٨٢): إسناده محتمل للتحسين. وصححه العصيمي في الدر النضيد؛ مرة (رقم: ١١٧) وحسنه أخرى (رقم: ١١٩)

(٥) في الأصـل: ألواط، وهو تصحيف. والأنواط : جمع نوط ؛ وهو ما يتعلق به (معجم مقاييس اللغة ٥/٣٧٠).

لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:آية:١٣٨]) [(١)]، ونهى عن الصلاة عند القبور وإن لم يقصدها المصلي، ولعن من فعل ذلك وأخبر أنهم شرار الخلق عند الله[(٢)]، ونهى عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغيره[(٣)]، حسماً لمادة الشرك، وقطعاً لوسائله وسداً لذرائعه، وحماية للتوحيد وصيانة لجانبه.

وبيان ذلك هو أن التعظيم مما يَستدرج صاحبه إلى الغلو بطبيعته ويجري فيه مُجرى الدم، ويسري في عروقه من حيث لا يدري. والطبع العامي نزّاع إلى المحسوسات، نافر عن المعقول الذي يعقله العالمون الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلة، ولسكونه إلى المثال عدل « كثير » من أهل الملل إلى التصوير في الكتب والهياكل كاليهود والنصارى ثم المنانية خاصة[(٤)]. وناهيك شاهداً على ما

---

(١) رواه أحمد (٥/٢١٨) والترمذي (الفتن ـ باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ـ ٤/ ٤٥٧ رقم ٢١٨٠) وغيرهم ، قال الترمذي: حسن صحيح ،وصححه ابن حجر في الإصابة (٤ / ٢١٦) والألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٣٥)

(٢) تواتر النهي عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد، وقد صنف في ذلك العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني كتاباً سماه: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد. انظر على سبيل المثال هذه الأحاديث: البخاري (الصلاة ـ باب(٥٤) الصلاة في البيعة ـ وباب (٥٥) رقم:٤٣٤ـ ٤٣٧)، ومسلم (المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور ـ ١/ ٣٧٥ـ٣٧٨ رقم:٥٢٨ـ ٥٣٢).

(٣) أخرج أبو داود (الأيمان والنذور ـ باب: ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ـ ٣ / ٦٠٧رقم:٣٣١٣) عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببُوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببُوانة فقال النبي ﷺ " هل كان فيها عيد من أعيادهم "؟ قالوا :لا، قال رسول الله ﷺ " أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم" ورواه الطبراني في الكبير (٢/٦٨) قال ابن عبد الهادي :رجاله رجال الصحيحين (المحرر في الحديث ٢/٤٣٥ـ ٤٣٦).

(٤) هم المانوية نسبة لزعيمهم ماني بن فاتك الحكيم ، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى عليهم السلام. ولهم اعتقادات أخرى (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٤٤ ـ ٢٤٩) .

قلته أنك لو أبديت صورة النبي ﷺ أو مكة والكعبة لعامي أو لمرأة لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقبيل وتعفير الخدين والتمرغ كأنه شاهد المصوَّر، وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة، وهذا هو السبب الباعث على إيجاد الأصنام بأسامي الأشخاص المعظَّمة من الأنبياء والعلماء والملائكة، مذكرةً أمرهم عند الغيبة والموت، مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت، إلى أن طال العهد بعامليها ودارت القرونُ والأحقابُ عليها ونُسيتْ أسبابُها ودواعيها، وصارت رسماً وسنةً مستعملةً. ثم داخلهم أصحاب النواميس من بابها إذ كان ذلك أشدّ انطباعاً فيهم فأوجبوه عليهم.

وهكذا وردت الأخبار فيمن تقدم عهد الطوفان[1] وفيمن تأخر عنه، وحتى قيل: إن كون الناس قبل بعثة الرسل أمة واحدة هو [على] عبادة الأوثان[2]

---

(١) روى البخاري (التفسير ـ سورة نوح، باب وداً ولا سواعاً...ـ ٨/٥٣٥ رقم:٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ قال:" هذه أسماء رجال من قوم نوح، لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم يعبدوا حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت " قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/١٨٤):قال غير واحد من السلف : عكفوا على قبورهم، وصوروا تماثيلهم، فلما طال عليهم الأمد عبدت.أ.هـ. وانظر تفسير ابن كثير(٤/٤٤٥).

(٢) لا يصح هذا القول إطلاقاً؛ فإن آدم عليه السلام أبو البشرية كان موحداً وظلّ الأمر على التوحيد عشرة قرون ثم طرأ الشرك، روى ابن جرير(٢/ ١٩٤) والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٨٠ رقم:٣٦٥٤ تفسير سورة حم عسق، تحقيق: عطا) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال وكذلك هي في قراءة عبد الله {كان الناس أمة واحدة فاختلفوا} وقال قتادة: كانوا على الهدى جميعاً. وورد عن مجاهد وأبي العالية وغيرهم ما يؤيد قول ابن عباس وقتادة. وقال العوفي عن ابن عباس ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول : كانوا كفاراً ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قال الحافظ ابن كثير: والقول الأول عن ابن عباس أصح إسناداً ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا=

هكذا ذكره الحكيم البيروني في تاريخ الهند[١] ثم ذكر ما كان لأهل التوراة وأهل الهند والروم واليونان. وقد حكى الله في كتابه شيئاً كثيراً من أحوال المشركين من العرب وغيرهم ، وأنزل ثلثه في التوحيد، فعلى المؤمن المنصف أن يمعن نظره فيه، وليتدبر حال الجاهلية مع مراجعة تفسير الإمام ابن جرير وابن كثير والبغوي.

فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « إنما تنقض عُرى الإسلام عُروةً عُروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » ، ثم لينظر ما جاء في السنة من سَدِّ كل ذريعة. فإذا عرف ذلك تبين له عذرُ المانعين من التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم، سيما إذا رؤي ما يترتب على قول المجوزين له من فتح باب الفتنة والبدع الجمة، وإدخال ما ليس من التوسل في بابه من كل طامة، مما ينافي التوحيد على خط مستقيم ، حتى صار الشرك الصراح يسمى توسلاً عند كثير من رؤساء الجهال من المشايخ المتصوفين ، ومن نحا نحوهم من المدلسين ، أو أخذته العزة بالإثم عن قبول الحق من المكابرين ، وكفاه عقوبة ضميره الذي يُبَكِّتُه كلَّ حين. فليت الجهال اقتصروا في التوسل على كل ما يفيد الوساطة مع توجيه الطلب إلى الله سبحانه، ولكنهم نسوا وتوجهوا إلى الأموات، وطلبوا منهم قضاء الحاجات، وهتفوا بأسمائهم عند الملمات، والإشراف على

=الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. أ.هـ. (التفسير: ١/٢٥٧)

(١) تاريخ الهند للبيروني (ص:٨٤ ـ ٨٥) من قوله: والطبع العامي نزاع إلى المحسوسات.

قال مؤلف فصل المقال عن كتاب البيروني: ((قال في خطبته : وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى أستعمل فيه بإيراد حجج الخصوم، ومناقضة الزائغ منهم عن الحق، وإنما كتاب حكاية فأورد كلام الهندي على وجهه وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم فإن فلاسفتهم وإن تحروا التحقيق فإنهم يخرجون فيما اتصل بعوامهم عن رموز نحلهم ومواضعات ناموسهم ، ولا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم إلا أن يكون للصوفية أو لأحد أصناف النصارى لتقارب الأمر بين جميعهم الحلول والاتحاد)) ا.هـ. تعليق مؤلف فصل المقال.

الـــتهلكات. فزادو في الطُّنبور[1] نغمة على كفار قريش، معتقدين فيهم النفع والضر، مملوءة قلوبهم تعظيماً وحباً لهم وخوفاً ورجاءً، ونذروا لهم النذور وقربوا لهـــم الذبائح، ولاذوا بالقبور ووقفوا عندها خاضعين منكسين الرؤوسَ واضعين الأكف على الأكف خاشعين . ولا يعتبرون بمن وقف معهم في ذلك المقام من الوثنيين المعروفين عندهم من البانيان والمجوس في الهند، فقد صرفوا جملة عبادات لغـــير الله مع دعائه الذي هو مخ العبادة كما في الحديث [2] ، ولقد بلغ التعظيم للأمـــوات في قلوب الجهال فوق الغلو إلى حد نسوا الله فيه. يحلف أحدهم بالله كاذباً ولا يحلف بالولي الذي يعتقده خوفاً من العطب، حتى أدى هذا الحال عند بعـــض المـــتأخرين من القضاة تحليف من طُلبَ منه اليمينُ فوق قبر الولي الذي يعتقده، فيمسكونه المصحف فوق التابوت ويحلفونه به.

فيا ليت أولئك القوم يقولون بكراهة الطلب من الميت فيما لا يقدر عليه، بدلاً عن تصريحهم أن ذلك توسل وقربة، وليتهم ينصحون العامة بترك التغالي في

---

(١) فارسي معرب، أصله:دُنْبه برّه، شبه بألية الحَمَل، وهو من آلات اللهو والطرب ذو عنق وأوتار. انظر مختار الصحاح (ص:٣٩٨) والقاموس المحيط (ص:٥٥٤) والمعجم الوسيط (ص:٥٦٧)

(٢) رواه الترمذي (الدعوات ـــ باب ما جاء في فضل الدعاء ـــ ٥/٤٢٥ رقم:٣٣٧١) من حديث أنـــس بن مالك، قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وضعفه الألباني في أحكام الجنائز (ص:١٩٤) وقد ورد بلفظ صحيح :" إن الدعاء هو العبادة " وذلك من حديث النعمان بن بشير الأنصاري؛ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (باب فضل الدعاء ـــ ٢/ ١٧٨ رقـــم: ٧١٤) وأبـــو داود (الصلاة ـــ باب الدعاء ـــ ٢/١٦١ رقم: ١٤٧٩) والترمذي (التفسير ـــ تفسير سورة البقرة ـــ ٥/ ١٩٤ رقم:٢٩٦٩) و(تفسير سورة المؤمن ـــ ٥/٣٤٩رقـــم:٣٢٤٧) و (الدعـــوات ـــ باب ما جاء في فضل الدعاء ـــ ٥/٤٢٦ رقم : ٣٣٧٢) وصححه، والنسائي في الكبرى (كما في تحفة الأشراف ٩/ ٣٠) وابن ماجه (الدعاء ـــ باب فضل الدعاء ـــ ٢/ ١٢٥٨ رقم:٣٨٢٨) والحاكم (١/٤٩٠ـــ ٤٩١) وصححه وأقره الذهبي ورواه غيرهم كثير وصححه النووي في الأذكار (٢/ ٩٣٣رقم:١١٦٤) وقال الحافظ في الفتح (١/٦٤):"أخرجه أصحاب السنن بسند جيد". وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ١٩٤).

ذلك، وليتهم يكتبون رسائل في تقبيح ذلك، أو ليتهم يسكتون ويستحيون ولا يكابـرون ويـتركون التألـيف في تحسين ذلك، والحث عليه، والدفاع عنه، والتشويق إليه بمدائح شعرية، وإنشاد مقامات شيوخية، كأنهم يرون أن الدين لا يـتم إلا به، وأن تعظيم الأنبياء والصالحين لايكون إلا بذلك؛ وكأنهم يرون أن العامـة تحتاج إلى زيادة إرشاد إليه وحث عليه، وكأنهم لا يشعرون إلى الآن بما حلّ بالأمة من جرّاء ذلك من الانحطاط في النفوس والعقول والدين والدنيا. ألا يـنظرون إلى ما يكتبه خطباؤنا الأذكياء في المجلات العلمية؟ كأنهم يضربون في حديد بارد أو يخاطبون أمواتاً، فإلى الله المشتكى!!

ولو ترك بعضُ أولئك الرؤساء العنادَ وتنازلوا قليلاً عن الغلو الذي هم فيه، لوجدوا أمامهم في كتب الفقه عبارات كثيرةً تمنع من ذلك.

قـال في طوالـع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار للشيخ محمد عابد السندي الحنفي(١): " ولا يقول: يا صاحب القبر يا فلان! اقضِ حاجتي، أو سلها من الله أو كن لي شفيعاً عند الله، بل يقول: يا من لايشرك في حكمه أحداً اقضِ لي حاجتي هذه وحيداً كما خلقتني"أ.هـ.

وقـال في الفتاوى البزازية(٢) :" من قال: إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر.أ.هـ.

---

(١) محمد عابد بن أحمد علي بن يعقوب الأنصاري السندي ثم المدني، فقيه حنفي عالم بالحديث من القضاة، رحل إلى اليمن ثم إلى المدينة واستقر بها إلى أن توفي سنة ١٢٥٧هـ.من كتبه: حصر الشـارد في أسـانيد محمد عابد، وطوالع الأنوار، ومنحة الباري بمكررات البخاري، وغيرها. *انظر الرسالة المستطرفة (ص:٦٤) والأعلام للزركلي (٦/١٧٩ـ ١٨٠)

(٢) للشيخ حافظ الدين محمد بن محمد شهاب المعروف بابن البزاز الكردري الحنفي ت:٨٢٧ هـ، وانظر الفتاوى البزازية (٣/ ٣٢٦) بهامش المجلد ٦ من الفتاوى الهندية.

وتكملـة كلامه: وإذا قال الرجل أو المرأة: أنا أعلم المسروقات يكفر، ولو قال: أنا أخبر عن أخبار الجن يكفر أيضاً لأن الجن كالإنس لا تعلم الغيب. قال تعالى: ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ الآية في الجن.أ.هـ.[سورة سبأ؛ الآية:١٤].

وقـــال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي[١] : (لما صعبت التكاليف على الجهال والطّغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلـــوا بها تحت أمر غيرهم) قال : (وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مـــثل تعظـــيم القـــبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران، وتقبيلها وتخليقها [٢]، وخطاب الموتى للحوائج وكتب الرقاع فيها: يا مولاي ! افعل بي كـــذا وكـــذا، أو أخذ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشدّ الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللاّت والعزّى) أ.هـــ.

قال الإمام الشوكاني[٣] في الدر النضيد في التوحيد[٤] : « وإذا عرفت هذا فاعلم أن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام، وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء ؛ من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلاّ الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلاّ الله عز وجل،حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالاً، ويصـــرحون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم

---

(١) انظر إغاثة اللهفان (١/ ١٩٥). هو الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري، المتكلم صاحب التصانيف: من أشهرها الفنون، كان يميل لمذهب المعتزلة ثم من الله عليه فتحسن حاله، فصنف كتاب: مسألة القرآن، رد فيه على المخالفين لأهل السنة. توفي: سنة ٥١٣هـــ انظر ترجمته: طبقات الحنابلة (٢/٢٥٩) والسير (١٩/٤٣٣).

(٢) أي طلاؤها بالخَلُوق وهو: نوع من الطيب. انظر مختار الصحاح (ص:١٨٧)

(٣) وهـــو الإمـــام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني، ولد ٢٨/١١/ ١١٧٣هـــ. نشأ بصـــنعاء، حفـــظ القرآن وعدة مختصرات وطلب العلم ففاق أقرانه، ترك التقليد ودعا لاتباع الكـــتاب والسنة مع احترام العلماء. من أشهر مؤلفاته: فتح القدير في التفسير، ونيل الأوطار، والـــتحف في مذاهب السلف، توفي سنة ١٢٥٠هـــ انظر البدر الطالع للشوكاني (٢/٢١٤) ومعجم المؤلفين (٣/٥٤١ـــ الرسالة)

(٤) انظر الدر النضيد (ص: ١٥٠) مع الرسائل السلفية

خضـــوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، وهـــذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشرك! وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنـــيا كفر، وهانحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه، وفي سنة رسوله ﷺ فـــيها المنع مما هو دون هذا بمراحل، وفي بعضها التصريح بأنه شرك، وهو بالنسبة إلى هذا الذي ذكرناه يسير» فارجع إليه إن شئت.

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي[١] في كتابه:"سيف الله على من كذب عـــلى أولـــياء الله"[٢]: «هذا، وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعـــون أنّ للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشدائد والبلـــيات، وبهـــم تكشـــف[٣] المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجـــات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات. وقالوا: منهم أبدال ونقباء وأوتـــاد ونجـــباء[٤]وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة [١]، والقطب هو الغوث

---

(١) واعظ، فقيه محدث، أديب له أرجوزة في الحديث، وله سيف الله على من كذب على أولياء الله، وأكسير التقى في شرح الملتقى. ت:١١٢٠هـ. إيضاح المكنون (١/١١٥) ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٤)

(٢) مخطوط موجود في مكتبة الحرم المكي والمدني، طبع مؤخراً في مجلة الحكمة العدد (١٧) بتحقيق: علي رضا. ثم طبعه مفرداً، وفيما ظهر لي أن المؤلف نقل من تيسير العزيز الحميد و لم ينقل من (سيف الله) مباشرة. وبما أن المؤلف تبع لصاحب التيسير قد تصرف في يسير من العبارات، التي لا تضـــر بالمعنى، مع الاختصار. فإني لن أشير إلى الفروق بينه وبين المطبوع من سيف الله. إلا فيما كان له فائدة أو حاجة.

(٣) في الأصل: تشكف. وهو تصحيف، وفي المطبوع في المجلة (ص: ٤٣٧) وكذا في تيسير العزيز الحميد (ص:٢٣٢ـــ ٢٣٥): وبهمهم تنكشف.

(٤) أحاديث الأبدال والأوتاد... لا تصح. قال ابن القيم في المنار المنيف (ص: ١٣٦): ومن ذلك: أحاديث الأبدال والأقطاب، والأغواث، والنقباء والنجباء، والأوتاد، كلها باطلة على رسول الله صـــلى الله عليه وسلم...أ.هـ. وانظر الموضوعات لابن الجوزي (٣/١٥٠ـــ ١٥١) واللآلىء المصـــنوعة للســـيوطي (٢/٣٣٠ـــ٣٣٢) والمقاصد الحسنة للسخاوي (ص:٨ ــــ ١٠) وصنف السيوطي مصنفاً سماه:"الخبر الدّال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال"وهو موجود=

للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور".

قال [٢]: « وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدَّق، ومخالف لعقائد الأئمة، وما أجمعت [٣]عليه الأمة...وفي التنزيل ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥] » .

ثم قال [٤]:"فأما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل:٦٣] ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأعراف:٥٤] ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة:١٠٧، وغيرها] ونحوه من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير، ولا شيء [٥] لغيره في شيء بوجه من الوجوه، فالكل تحت ملكه وقهره تصرفاً وملكاً وإحياءً وإماتة وخلقاً... وقد تمدح الرب تعالى [بانفراده] [٦] بملكه في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿ هَلۡ

=ضمن الحاوي للفتاوي (٢/ ٤١٧ـ٤٣٧) وقد طبع مفرداً، وقد صنف الصنعاني رسالة في الأولياء سماها: الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف. تكلم فيها عن أحاديث الأبدال وأشار إلى أنها ضعيفة. وبين حقيقة ما يدعيه الغلاة في الأبدال والأوتاد ... من خلال تعريفاتهم لها، فانظرها فإنها مهمة. وسيأتي ذكر لهذه المسألة (ص:٦٣)

(١) في المجلة (ص: ٤٣٧) : وسبعين وسبعة وأربعين وأربعة.

(٢) المجلة (ص:٤٣٧)

(٣) في التيسير والمجلة : اجتمعت.

(٤) المجلة (ص: ٤٤٨)

(٥) كذا في الأصل والتيسير، وأما في المجلة : شركة.

(٦) من التيسير والمجلة

مِن خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣] وذكر آيات في هذا المعنى...

ثم قال: [(١)]" فقوله في الآيات كلها من « دونه » أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يَمُدُّ غيره" .

إلى أن قال:" إن هذا القول وخيمٌ وشرك عظيمٌ" [(٢)].

إلى أن قال:" وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة قال جل ذكره ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[الزمر:٣٠] وقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢] ﴿ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر:٣٨] وفي الحديث: (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**) الحديث[(٣)] .

وجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره [بحركة] [(٤)]. فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره، فإنه سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون إن الأرواحَ مطلقة متصرفة ﴿ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة:١٤٠]" ...

---

(١) المجلة (ص: ٤٤٩)

(٢) في التيسير والمجلة (ص: ٤٥٠) : إن هذا من السفاهة لقول وخيم...

(٣) رواه مسلم (الوصية ــ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد موته ــ ٣/ ١٢٥٥ رقم: ١٦١٣)

(٤) من المجلة (ص: ٤٥١) والتيسير (ص: ٢٣٣)

قـــال [١]:" وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامات فهو أعظم من المغالطة؛ لأن الكرامات شيء من الله تعالى يكرم به أولياءه، وأهل طاعته لاقصد لهـــم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولاعلم، كما في قصة مريم ابنة عمران، وأُسيد بن حُضير [٢]، وأبي مُسلم الخَولاني [٣]".

وقـــال:"وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد ... فهذا أقبح مما قبله وأبدع ... لمصادرة قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٦٣] وذكر الآيات في هذا المعنى...

ثم قال [٤]:" فإنه جل ذكره قرر [٥] أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المنفرد بإجابة المضطر، وأنه المستغاث به لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر. القادر عـــلى إيصال الخير فهو المتفرد بذلك. فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من مَلَكٍ ونبي وولي".

قـــال [٦]:" والإستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قـــتالٍ أو إدراك عـــدوٍ أو سبُعٍ ونحوه، كقولهم: يا آل زيد، يا للمسلمين، بحســـب الأفعـــال الظاهرةً بالفعل. وأما الإستغاثة بالقوة والتأثير، أو في الأمور

---

(١) المجلة (ص:٤٥٤)

(٢) انظر صحيح البخاري (رقم: ٣٨٠٥و ٥٠١١و٥٠١٨) وصحيح مسلم (رقم: ٧٩٦)

(٣) هو عبد الله بن ثوب الخولاني سيد التابعين ، انظر عنه الحلية (٢/ ١٢٢ وما بعدها) والسير (٤/ ٧ وما بعدها)

(٤) المجلة (ص: ٤٥٥)

(٥) في الأصل: كرر. والتصويب من المجلة والتيسير (ص: ٢٣٤).

(٦) المجلة (ص: ٤٥٧)

المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق، ونحوه، فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره.

قال [(١)]: " وأما كونهم معتقدين التأثير منهم ... في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات ... فمن [(٢)] اعتقد أن لغير الله من نبي وولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربةٍ أو قضاءِ حاجةٍ تأثيراً فقد وقع في وادي جهلٍ خطر، فهو على شفا جرف من السعير.

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله تعالى بهذه المثابة. فهذا ظن أهل الأوثان كما أخبر الرحمن ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾ [يس:٢٣]

فإن ذِكْرَ مَا ليس من شأنه النفعُ ولا دفع الضر ـــ من نبي أو ولي وغيره ـــ على وجه الإمداد منهم شرك مع الله تعالى، إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره".

قال [(٣)]: " وأما ما قالوه أن منهم أبدالاً ونقباء وأوتاداً و نجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، فهذا من موضوعات إفكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين، وابن الجوزي وابن تيمية [(٤)]. انتهى باختصار.

---

(١) المجلة (ص: ٤٥٨)

(٢) المجلة (ص: ٤٦٣)

(٣) المجلة (ص: ٤٧٧)

(٤) تقدم الكلام على أحاديث الأبدال. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٤٣٣ـــ ٤٤٤).

قال الهندي: ورد علي كتاب من خليلي وصديقي الفاضل الجليل الشيخ عبد القادر التلمساني في تفسير قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧] جاء بأقوال مستدلاً بها على أن آدم عليه السلام ما توسل في دعائه بسيد الرسل ﷺ وما كانت الكلمات (اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي الخ)[١].

أقول: هذه صورة الكتاب الذي قدمناه إلى هذا الرجل بنصه:

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله (ص:)

بيان ما ورد في قوله تعالى:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

في التفسير الكبير للعلامة الفاضل محمد بن جرير الطبري.

عن ابن زيد[1] تابعه أبو زهير[2] ومجاهد[3] وقتادة[4]. والحسن[5] ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣]

---

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي؛ مولاهم، ضعيف الحفظ.(التقريب ؛ ص:٣٤٠) إمام في التفسير، وعلم التفسير والفقه ليس من باب الحفظ والإتقان، ألا ترى أن حفص بن سليمان وشيخه عاصم بن أبي النجود؛ تكلم فيهما من قِبَل حفظهما للحديث، وهما حجة في القراءات؟ ورواية عبدالرحمن هذه تخالف ما رواه عبد الرحمن نفسه، في الحديث الذي سيأتي تخريجه، وهو الذي عليه معول الهندي. والرواية المذكورة في المتن رواها ابن جرير (١٩٣/١ و ١٩٤)

(٢) هو العلاء بن زهير بن عبد الله الأزدي أبو زهير الكوفي ؛ ثقة.(التقريب؛ ص:٤٣٥) وهو لم يتابع ابن زيد والباقين ، بل هو من رجال رواية مجاهد عند ابن جرير(٢٤٤/١) والذي أوهم الشيخ ذلك هو تحويل ابن جرير الإسناد. والله أعلم .

(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي؛ مولاهم .إمام في التفسير(السير٤٤٩/٤) وأخرج أثر مجاهد ؛ ابن أبي حاتم (١٣٦/١ رقم:٤١٤) وابن جرير (١٩٤/١) ووكيع وعبد بن حميد؛كما في الدر المنثور(٥٩/١)

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري.ثقة ثبت.وهو من خيار التابعين (السير٢٦٩/٥) و(التقريب؛ص: ٤٥٣) وأخرج أثره ابن جرير (١٩٤/١)

(٥) في الأصل : الحسين ، والمثبت هوالصواب ، والحسن هو البصري، ثقة فقيه مشهور تابعي؛ ت: ١١٠هـ. السير(٥٦٣/٤). وأخرج أثر الحسن: ابن جرير (١٩٣/١) وعبد بن حميد (كما في الدر المنثور ٥٩/١)

ابن عباس « أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تنفخ فيّ من روحك ؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسكنّي جنتك ؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسبق رحمتُك غضبَك ؟ قال: بلى، قال: أرأيت إن أنا تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: بلى! » [١].

وعنه أيضاً : « رب إن أنا تبت وأصلحت، قال: إني إذاً راجعك إلى الجنة» [٢].

أبي العالية[٣] : «يا رب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت فقال الله: إذاً أُرجعك إلى الجنة » فهي من الكلمات، ومن الكلمات أيضاً ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

أسباط[٤] عن السدي[٥]: «قال: رب ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى، ونفختَ فيّ من روحك؟ قيل له: بلى، قال: وسبقت رحمتُك غضبَك؟ قيل له: بلى، قال: رب هل كنت كتبت عليّ هذه؟ قيل له: نعم، قال: رب إن تبت

---

(١) في ابن جرير؛ قال:نعم.وأخرج الأثر ابن أبي حاتم (١/١٣٥ رقم: ٤١١) وابن جرير (١/١٩٣) والحاكم (٣/٥٤٥) وصححه ووافقه الذهبي.وأخرجه كما في الدر المنثور (١/٥٨): الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في التوبة (ولم أجده في المطبوع) وابن المنذر وابن مردويه. وصححه الألباني في التوسل (ص:١٢٦).

(٢) أخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس (١/١٩٣) وأخرجه أيضاً عن قتادة (١/١٩٣).

(٣) أبو العالية :رُفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري؛ تابعي فقيه مفسرمقريء.ت:٩٣هـ. على الصحيح. تذكرة الحفاظ (١/٦١ ـ ٦٢). وأخرج أثرَه ابنُ جرير (١/١٩٣ ـ ١٩٤).

(٤) أسباط بن نصر الهمداني؛ كوفي ، كان راوية السدي ؛ اختلف في توثيقه. أنظر: تهذيب الكمال (٢/٣٥٧).

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي؛ أبو محمد القرشي؛ وهو السدي الكبير: ثقة. ت: ١٢٧هـ أنظر تهذيب الكمال (٣/١٣١) والسير (٥/ ٢٦٤).

وأصلحت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قيل له: نعم؛ قال الله: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه:١٢٢] [(١)] .

*سفيان[(٢)] عن عبد العزيز بن رُفَيع[(٣)] عن عبيد بن عمير[(٤)] تابعه ابن سنان[(٥)] ووكيع[(٦)] وخلافه: « قال آدم: يا رب خطيئتي التي أخطأتُها أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال : بل شيء كتبتُه عليك قبل أن أخلقك ، قال: كتبتَه عليَّ فاغفره لي » [(٧)]

---

(١) وقع في الأصل: فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه. وأخرج الأثر ابن جرير (١/١٩٤).

(٢) سفيان بن سعيد الثوري؛ ثقة حافظ ربما دلس. ت: ١٦١هـ التقريب (ص:٢٤٤)

(٣) عبد العزيز بن رفيع الأسدي المكي ثم الكوفي، ثقة توفي ١٣٠هـ . التقريب (ص:٣٥٧)

(٤) عبيد بن عميربن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ ـــ قاله مسلم ـــ وعدّه غيره من كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر ـــ وقد توفي ابن عمر سنة ٧٣هـ انظر تهذيب الكمال (٣٠/٤٦٢) والسير (٩/ ١٤٠).

(٥) أحمد بن سنان بن أسد بن حبان ـــ بكسر المهملة بعدها موحدة ـــ أبو جعفر القطان الواسطي؛ ثقة حافظ، ت:٢٥٩هـ وقِيل: قبلها. (التقريب ص: ٨٠)

(٦) في الأصل: فظيع ، وهو تصحيف ، لأن أسانيد هذا الأثر لايوجد فيها فظيع، بل وكيع : وهو ابن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي، ثقة عابد، مات آخر سنة ١٩٦هـ. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢) والسير (٩/١٤٠).

تنبيهان: **الأول:** قول الشيخ المؤلف هنا: تابعه ابن سنان ووكيع وخلافه ؛ غير مستقيم، لأن ابن سنان من شيوخ ابن جرير، ووكيع من شيوخ ابن سنان، وسفيان من شيوخ وكيع؛ فعلى هذا : ابن سنان ووكيع وخلافه ليسوا بمتابعين لسفيان بل إن مدار الأثر عند ابن جرير على سفيان ورواه عنه كل من: عبد الرحمن بن مهدي ومؤمل ووكيع وأبي نعيم وعبد الرزاق، فهؤلاء تابع بعضهم بعضاً.

الثاني: قوله عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير بدون واسطة لايوجد إلا في رواية عبد الرزاق عن سفيان، وأما بقية الرواة فرووه عن عبد العزيز بن رفيع عمن سمع عبيد بن عمير، فعلى ذلك هناك واسطة مجهولة، والله أعلم .

(٧) أخرجه ابن جرير (١/١٩٤).

*عـــن [عـــبد الـــرحمن بن يزيد بن][1]معاوية: « اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، تب عليّ إنك أنت التواب الرحيم».

*عـــن مجاهد: « اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفســـي فاغفر لي إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمـــت نفســـي فاغفـــر لي إنك خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت ســـبحانك وبحمـــدك، رب إني ظلمـــت نفســـي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم».

*وعـــنه أيضاً:«قال: أي رب أتتوب علي إن تبت، قال: نعم، فتاب عليه ربه » [2]أ.هـــ. بحروفه.

قـــال الهـــندي:« تعجبت عجيباً لأن الشيخ مع كماله كيف ترك أصول الدين وقواعد الدين المتين التي عليها مدار الشريعة الغراء، والملة البيضاء، وترك الحديـــث المـــرفوع في تفسير الكلمات، وجاء بأقوال العلماء المختلفة، سنذكر الحديث إن شاء الله تعالى » .

أقـــول: ما أورده عليّ فهو وارد على الإمام ابن جرير الطبري وينبغي أن يتعجب منه كما تعجب مني، فإنه ترك ذلك الحديث المرفوع وإني لم أزد على أن نقلـــت كـــلام ذلـــك الإمام الذي هو التفسير بالمأثور حقيقة عن الصحابة وســـلف الأمة وأئمتها، وتركه لذلك الحديث يشعر بعدم اعتباره صالحاً لتفسير

---

(١) مابين معقوفتين من ابن جرير (١٩٤/١) ووقع في الأصل : معاوية . وأما عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فهو ابن أبي سفيان الأموي، كان من الأتقياء العباد، اجتهد في العبادة حتى صار كالشن البالي، قال أبو زرعة وغيره: كان من صالحي القوم. وذكره ابن حبان في الثقات.انظر تهذيب الكمال (٤١/١٨) والسير (٤٩/٥).

(٢) أخرج أثري مجاهد ؛ الطبري (١٩٤/١).

هـــذه الآية والطعن فيه، وناهيك بمثل هذا الإمام الذي أجمع أهل العلم على أن تفسيره أعظم التفاسير. قال أبو حامد الاسفرائيني: « لو سافر رجل إلى الصين في تفســـير ابـــن جرير لم يكن كثيراً » . وقد ترك ذلك الحديث أيضاً الإمام الـــبغوي فلم يعرج عليه في تفسيره، وكذلك الحافظ ابن كثير وغيرهم من أئمة التفسير المحققين ـــ كما يأتي بيان ذلك ـــ وأنه لا عبرة بنقل من يجمع بين الغث والســـمين فيكون كحاطب ليل أو جارف سيل، فالحجة بما ثبت عن الصحابة وعن سلف الأمة وأئمتها فلذلك قدمنا إليه ذلك الكتاب.

وقول الهندي:« وجاء بأقوال العلماء المختلفة » .

فـــيه تمويه فقد سمعتَ نصَّ ما كتبناه له من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة التفســـير، ولا خـــلاف بينها إذ يمكن اجتماعها كلها. ومن القواعد المقررة في مصـــطلح الحديث: أن قول الصحابي في حكم المرفوع إذا لم يكن مثله مما يقال من بادي الرأي، أو من الإسرائيليات[١]، وستأتي حقيقة ذلك الحديث المرفوع. فهذا الرجل لم يعلم حكم هذا الحديث من الصحة أو الضعف أو الشذوذ، لأنه لم يعـــرف إسـنـــاده، ولم يطلع على ما قيل فيه، ولم يدر أن الحديث الصحيح [إذا][٢] ما شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به، فإنهم قالوا: إن الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة[٣]، وأنه لا يجوز تفسير القـــرآن بـــأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث من أئمة التصحيح والترجيح.

---

(١) انظر النـــزهة لابن حجر (ص: ١٠٦ ـــ ١٠٨) تعليق محمد غياث الصباغ ـــ مناهل العرفان.

(٢) ما بين معقوفتين زيادة مني.

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح (ص:١٥١) تحقيق بنت الشاطىء ؛ دار المعارف، القاهرة.

قال الهندي: «مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ وما فهم وما درس » .

أقـــول: انظـــر إلى الجهل كيف يعمل بصاحبه وكيف يطلق لسانه ويقل حياءه.

قـــال الهـــندي: «لـــو نظر في الكتب لوجد أن أقوال العلماء لا تعارض الحديث المرفوع » .

أقـــول: لو عقل هذا الرجل وفهم ما نظر فيه من الكتب وأنصف لما فاه بـــتلك الجملة التي دلّس فيها فسيأتي أنه ليس كل حديث مرفوع حجة فإن منه الضعيف الذي يقدم عليه قول الصحابي إذا صح فإنه في حكم المرفوع ـــ كما تقدم ـــ وقد علمت أن في قوله: « أقوال العلماء» تدليساً، فإن فيها من أقوال الصحابة، فتأمل.

قال الهندي: «وأيضاً، إن الشيخ ما طالع التفاسير كلها وكتب الأحاديث جلها وإلا لم ينكر التوسل المسنون للسر المخزون» .

أقـــول: إنـــا لم ننكر التوسل الوارد في السنة بل نقتصر على ما ورد في الأحاديث الصحيحة، ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك وفي جميع ما صح عنهم، فنتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وبالأعمال الصالحة الـــتي لـــنا، وبخـــيارنا الصالحين من الأحياء بطلب الدعاء منهم، والتأمين على دعائهم، كما نفعل في الاستسقاء وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف، كما سيأتي تفصيل ذلك؛ من أنه لا دليل على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعـــد مماـــتهم، وما ذكره المجوزون من الأحاديث إما أن يكون ضعيفاً لا يصلح

هـــذه الآية والطعن فيه، وناهيك بمثل هذا الإمام الذي أجمع أهل العلم على أن تفسيره أعظم التفاسير. قال أبو حامد الاسفرائيني: « لو سافر رجل إلى الصين في تفســـير ابـــن جرير لم يكن كثيراً » . وقد ترك ذلك الحديث أيضاً الإمام الـــبغوي فلم يعرج عليه في تفسيره، وكذلك الحافظ ابن كثير وغيرهم من أئمة التفسير المحققين ـــ كما يأتي بيان ذلك ـــ وأنه لا عبرة بنقل من يجمع بين الغث والســـمين فيكون كحاطب ليل أو جارف سيل، فالحجة بما ثبت عن الصحابة وعن سلف الأمة وأئمتها فلذلك قدمنا إليه ذلك الكتاب.

وقول الهندي:« وجاء بأقوال العلماء المختلفة » .

فـــيه تمويه فقد سمعتَ نصَّ ما كتبناه له من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة التفســـير، ولا خـــلاف بينها إذ يمكن اجتماعها كلها. ومن القواعد المقررة في مصـــطلح الحديث: أن قول الصحابي في حكم المرفوع إذا لم يكن مثله مما يقال من بادي الرأي، أو من الإسرائيليات[١]، وستأتي حقيقة ذلك الحديث المرفوع. فهذا الرجل لم يعلم حكم هذا الحديث من الصحة أو الضعف أو الشذوذ، لأنه لم يعـــرف إســـناده، ولم يطلع على ما قيل فيه، ولم يدر أن الحديث الصحيح [إذا][٢] ما شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به، فإنهم قالوا: إن الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة[٣]، وأنه لا يجوز تفسير القـــرآن بـــأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث من أئمة التصحيح والترجيح.

---

(١) انظر النـــزهة لابن حجر (ص: ١٠٦ ـــ ١٠٨) تعليق محمد غياث الصباغ ـــ مناهل العرفان.

(٢) ما بين معقوفتين زيادة مني.

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح (ص:١٥١) تحقيق بنت الشاطىء ؛ دار المعارف، القاهرة.

قال الهندي: «مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ وما فهم وما درس » .

أقـــول: انظـــر إلى الجهل كيف يعمل بصاحبه وكيف يطلق لسانه ويقل حياءه.

قـــال الهـــندي: «لـــو نظر في الكتب لوجد أن أقوال العلماء لا تعارض الحديث المرفوع » .

أقـــول: لو عقل هذا الرجل وفهم ما نظر فيه من الكتب وأنصف لما فاه بـــتلك الجملة التي دلّس فيها فسيأتي أنه ليس كل حديث مرفوع حجة فإن منه الضعيف الذي يقدم عليه قول الصحابي إذا صح فإنه في حكم المرفوع ـــ كما تقدم ـــ وقد علمت أن في قوله: « أقوال العلماء» تدليساً، فإن فيها من أقوال الصحابة، فتأمل.

قال الهندي: «وأيضاً، إن الشيخ ما طالع التفاسير كلها وكتب الأحاديث جلها وإلا لم ينكر التوسل المسنون للسر المخزون» .

أقـــول: إنـــا لم ننكر التوسل الوارد في السنة بل نقتصر على ما ورد في الأحاديث الصحيحة، ولا نخرج عن طريق السلف الصالح في ذلك وفي جميع ما صح عنهم، فنتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وبالأعمال الصالحة الـــتي لـــنا، وبخـــيارنا الصالحين من الأحياء بطلب الدعاء منهم، والتأمين على دعائهم، كما نفعل في الاستسقاء وكما جرت على ذلك عادة السلف والخلف، كما سيأتي تفصيل ذلك؛ من أنه لا دليل على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعـــد ممـــاتهم، وما ذكره المجوزون من الأحاديث إما أن يكون ضعيفاً لا يصلح

للاستدلال ، أو أنه دليل عليهم لا لهم كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما[١] .

وأما قول الهندي : « السر المخزون»، ومثله في آخر الرسالة فلم تصل إليه أفهامنا القاصرة ولا رأيناه في الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وكأنه مما يدرك بالذوق، ولا تفي بحقه العبارات، كما قال الشاعر [٢]:

يلوذون عند العجز بالذوق ليتهم ... يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد[٣]

نقول لهم: ما الذوق؟ قالوا: مثاله ... عزيز فلا بالشم يدرك والحدِّ

ففشرهُمُ[٤] بالكشف والذوق مشعر ... بأنَّهُمُ عن مطلب الحق في بُعد

ومن يطلبُ الإنصاف يدلي بحجةٍ ... ويرجعُ أحياناً ويهدي ويستهدي

نعم ذكر بعضهم أن عباد القبور والأنفس المفارقة يرون أن تعلق قلب الزائر وروحه بروح المزور سبب لنيل مقصوده وتحصيل نصيب مما يفيض على

---

(١) أخرجه البخاري (الإستسقاء ــ باب:سؤال الناس الإمام الإستسقاء إذا قحطوا ــ ٢/ ١٠١٠) و (فضائل الصحابة ــ باب: ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ــ٧/ ٩٦ رقم: ٣٧١٠) عن أنس، ولفظه: أن عمر بن الخطاب كانوا إذا أقحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: ((اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون)) قلت: ففي هذا الحديث دليل على أن التوسل بالنبي ﷺ كان بدعائه لهم، وكذا العباس فإنه دعا لهم ، كما سيأتي ذكر ذلك في هذه الرسالة. ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا استسقوا به يقول: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا.

(٢) هو الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام، توفي سنة ١١٨٢هـ، وهي جزء من قصيدته الدالية في مدح الإمام محمد بن عبد الوهاب، وانظر ترجمته وهذه الأبيات في عنوان المجد (ص:٥٣ــ ٥٦) مع فروق يسيرة.

(٣) الشَّهْد بضم الشين وفتحها: العسل في شمعها (مختار الصحاح ص:٣٤٩ والقاموس ص:٣٧٢)

(٤) الفشار: بمعنى الهذيان ، ليس من كلام العرب (القاموس، ص:٥٨٧) وفي عنوان المجد: "تسترهم"

روح ذلـــك المـــزور، كمـــا ذكر الفارابي وغيره من عباد الكواكب والأنفس المفارقة.

قـــال في إغاثة اللهفان[١] : « ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صورة الكواكب وروحانياتها[٢] بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات، لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كـــتاب « السر المكتوم في مخاطبة النجوم » المنسوب إلى ابن خطيب الري[٣] تعرف سر عبادة الأصنام، وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عـــبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خـــاص يـــنظرون إلـــيه ويعكفون عليه، ومن ههنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكـــب أصناماً زعموا أنها على صورها. فَوَضْعُ الصنم إنما كان في الأصل عـــلى شكل معبود غائب، فَجُعِلَ[٤] الصنم على شكله وهيئته وصورته، ليكون نائـــباً منابه وقائماً مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بـــيده ثم يعـــتقد أنه إلهه ومعبوده » . أ.هـــ. فمن أمعن النظر في ذلك فَهِم في الجملة ذلك السر المخزون المضنون به على غير أهله.

قـــال الهـــندي بعـــد تقسيمه الحديث إلى مرفوع وموقوف ومقطوع : «والحديث المرفوع حجة على الإطلاق دون الباقي».

---

(١) إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٢٤) تحقيق الفقي.

(٢) في إغاثة اللهفان: وروحانيتها.

(٣) في الأصل: خطيب المري، وهو تصحيف؛ وخطيب الري هو الفخر الرازي، كان من رؤساء المتكلمين، ثم رجع عن علم الكلام . ت:٦٠٦هـــ .البداية والنهاية (١٣/٥٥)

(٤) في إغاثة اللهفان: فجعلوا.

أقــول: هذا أكبر دليل على جهل هذا الرجل وأنه من القصاصين الذين يتكلمون بكلام العلماء؛ فلا يخفى على من نظر في مصطلح الحديث بأن حكم الحديــث المــرفوع يختلف باعتبار المتن والإسناد؛ فينقسم إلى صحيح وحسن وضــعيف كما أنه ينقسم باعتبار الإسناد إلى: متصل ومرسل ومنقطع ومعضل ومعلــق، فلــيس كلُّ مرفوع حجة ومقبولاً إلا ما قبله الأئمة بعد البحث عن أحوال رواته، نعم قد اتفق المحدثون على أن جميع ما في الصحيحين من المتصل المرفوع صحيح بالقطع فتأمل.

قال الهندي:«وأيضاً ثبت عند أهل العلم والدين أن الإثبات بالذِّكر لا يدل عــلى نفي غيره، والشيخ ما جاء في دليله ومكتوبه إلا بالقول المحض خالياً عن الأدلة الشرعية» .

أقــول: هــذه العبارة ركيكة لا يكاد يفهم معناها ولكن نحن نترجمها، فمقصــوده: أن إثبات الأمر لا يدل على نفي غيره أي أنه لا يَقْبل ما أثبتناه في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم عن ربه، عن أئمة التفسير والحديث من الصحابة والــتابعين والحفاظ المسندين، ولا يعتبر إثبات ذلك نافياً لما ظفر به من الحديث المــرفوع في تفســير تلك الكلمات بتوسل آدم بحق محمد صلوات الله وسلامه علــيهما، وقد فاته أن الإثبات إذا كان على وجه الحصر يدل على نفي غيره، وكذا إذا قامت قرينة عليه، وقد قررنا أن ترك أئمة التفسير الذين عليهم المعول فــيه يشعر بعدم اعتبار ذلك الحديث طعناً فيه، وهذا الرجل نفسه قرر في أول كلامه أن تركنا لذلك الحديث المرفوع إنكارٌ له وتعجّب منه ــ كما سمعته ــ كــلُّ ذلــك من قرينة المقام، فشن علينا الغارة وأقام القيامة، وقال مثل هذا لا يعمل أحد من علماء الدين غير هذا الشيخ فتأمل.

قـــال الهندي: « لعل الشيخ يكون في وقت الكتابة في شغل البيع والشراء ناســـياً عن قواعد العلماء، يا أيها الشيخ اللبيب! عِلْمُ التجارة لا يحصل به علم الدين، ولو بلغتم سن اليقين فاستحيوا من الله العظيم لا تستحيوا من الناس »

أقول: لا يستحيل اجتماع العلم مع التجارة كما تقدم بيانه في صدر هذه العجالة وكما هو موجود في الناس بكثرة ولله الحمد.

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعـــا

وأقبـــح الكفر والإفـــلاس بالـــرجل

وما أحسن الحياء من الله، نسأله التوفيق سبحانه، وما أحسن هذه النصيحة لو عمل بها الناصح، فخير له لو استحيى من الله واشتغل بالتعلم بدلاً من التعليم والإرشـــاد على جهل. فلو جاء عندنا [١] مع اشتغالنا بالتجارة لعلمناه اللسان العربي وأصلحنا عقيدته وعلمناه علم الدين.

قـــال الهندي:« إن شاء الله تعالى أنا أبين هذه المسألة يعني مسألة التوسل بالـــبراهين القاطعـــة، والحجـــج الساطعة، بتوفيق الملك العلام صاحب الجود والإنعام» ؛

أقـــول: ستعلم منا حقيقة تلك البراهين والحجج، وما وقعت من جهله في لجج؛

فدع عنـــك الكتابـــة لست منهـــا

ولو ســـودت وجهـــك بالمـــداد[٢]

---

(١) قال الوالد: فلو جاءنا. بدلاً من جاء عندنا.

(٢) انظر تذكرة الحفاظ (٤/١)

قـــال الهـــندي:« والعجبُ أن الشيخ من أيٍّ لفظ مجاهد وقتادة وغيرهما رحمهم الله فهم الحصر وما يدري أن القاعدة تقررت عند الأصوليين أن الإثبات بالذكر لا يدل على نفي الغير، صدق من قال: (شعر)

ومن[1] مذهبي حب الديـــار لأهلهـــا

وللنـــاس فيمـــا يعشقون مذاهـــب»

أقول: هذا مكرر مع ما قبله كما تقدم مع الجواب عليه، وكأنه يترنم بهذا الـــبرهان القاطع إعجاباً به، فتأنق في إيراده ولكن في غير محله مع احتياجه إلى تـــرجمان يحلـــه. ثم استشهد عليه ببيت لا يلائمه معجباً بنفسه، فسبحان مانح العقول وفاضح الجهول.

قال الهندي: «لعله ما نظر في مدة حياته إلى الآن إلى تفسير المدارك ولا إلى تفسير البيضاوي وتفسير عزيزي وغيره »

أقـــول : نظـــرنا في تفسير المدارك للنسفي وفي تفسير البيضاوي فلم نجد فـــيهما ذلك الحديث المرفوع، وأما تفسير العزيزي فهو بالفارسي وغير كامل، وقـــد وقفـــنا على غير هذه التفاسير المتداولة بين الناس بما لم تحظ به المطابع ، فنســـأله ســـبحانه العلم النافع، ونحمده على توفيقه والهداية إلى اعتقاد السلف الصالح .

قـــال الهندي: «ها أنا أقول فاستمع بالسمع الشهيد[2] خالياً عن التعصب متمســـكاً بالقول السديد: إن التوسل بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء العظام ثابت بدلائل شتى » .

---

(١) في الأصل: من، والصواب: ومن، حتى يستقيم الوزن، وهو من الطويل.

(٢) في الأصل الشهير، ويظهر أنه تصحيف.

أقول : إعلم أن مبنى العبادة على الأمر والاتباع، لا على الهوى والابتداع. والتوسل الذي جاءت به السنة ، وتواتر في الأحاديث؛ هو التوسل والتوجه إلى الله بالأسماء والصفات، وبالأعمال الصالحات، كالأدعية الواردة في السنة كقولهم :« اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلاّ أنت » ، وكالتوسل بدعاء الأنبياء وشفاعتهم في حياقم؛ كتوسل الصحابة بالنبي ﷺ في الاستسقاء وتوسلهم بالعباس وبيزيد ابن الأسود[1]، وتوسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ وشفاعته له [2] ، وكما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم [3] . فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الأمور المشروعة وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة:٣٥] وأما التوسل بذوات المخلوقين؛ فلا دليل عليه، ولا قاله أحد من الصحابة والتابعين، ولم ينقل عن السلف إلا ما يناقض ذلك، وقد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لا يجوز، ونقل عن بعضهم الجواز، فذكر الحنابلة في باب الاستسقاء [4] أنه يباح

---

(١) أما توسلهم بالعباس فقد تقدم ، وأما توسلهم بيزيد فسيأتي تخريج ذلك(ص: ١٢٤)

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨) والترمذي (الدعوات ــ باب (١١٩) ٥/٥٣١ رقم ٣٥٧٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص:٤١٧ رقم ٦٥٨ ــ ٦٦٠) وابن ماجه (إقامة الصلاة ــ باب ماجاء في صلاة الحاجة ــ ٤٤١/١ رقم ١٣٨٥) والحاكم في المستدرك (٣١٣/١) والبيهقي في الدلائل (١٦٦/٦ ــ ١٦٨) وغيرهم . قال الحاكم: صحيح الإسناد . وصححه الألباني (التوسل أنواعه وأحكامه؛ ص: ٧٦) وسيأتي لفظه (ص:٩٦)

(٣) روا ه البخاري (الإجارة ــ باب من استأجر أجيراً فترك أجره... ــ ٤/ ٥٢٥ ــ ٥٢٦ رقم ٢٢٧٢) ومسلم (الرقاق ــ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ــ٤/ ٢٠٩٩ ــ ٢١٠٠ رقم ١٠٠).

(٤) انظر معونة أولي النهى شرح المنتهى لابن النجار (٣٥٩/٢)

التوسل بالأنبياء والصالحين، ونقل عنهم الكراهة، وروي عن الإمام أحمد جوازه بالنبي ﷺ[(١)] ، وروي عن الإمام مالك الكراهة ، كما أفاده الشيخ زروق[(٢)] في قواعد التصوف ، وقال العز بن عبد السلام: لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ[(٣)] ،

---

(١) وهي رواية عنه؛ قال الإمام ابن تيمية رحمه الله (١/ ١٤٠ الفتاوى) : " قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي صاحبه : " إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، لكن غير أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به ، ولا يقسم على الله بمخلوق، وأحمد في إحدى الروايتين عنه قد جوز القسم به، فلذلك جوز التوسل به. ولكن الرواية الأخرى عنه: هي قول جمهور العلماء، أنه لا يقسم به ، فلا يقسم على الله به كسائر الملائكة والأنبياء، فإنا لا نعلم أحداً من السلف والأئمة قال: إنه يقسم به على الله".إ.هـــ. وهذا أشهرالأقوال عنه وعن الفقهاء أنه لا تنعقد اليمين به عليه أفضل الصلاة والسلام.(وانظر تلخيص الاستغاثة٢/٤٧٦ــ ٤٧٧) و(التوسل والوسيلة؛ ص: ٨٥ ــ٨٦)

(٢) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزرّوق فقيه محدث متصوف؛ له مصنفات ضد البدع؛ت:٨٩٩هـــ. انظر ترجمته: نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص:٨٤) ولكتاب قواعد التصوف نسخة مخطوطة في القدس في المكتبة الخالدية؛ انظر: مخطوطات التصوف في فلسطين؛ دراسة ببلوغرافية، إعداد د.أمين سعد أبو ليل ـــ مكتبة المنار، الزرقاء ، الأردن ، ط١،١٤٠٩هـــ ـــ ١٩٨٨م.

(٣) وهذه صورة المسألة وجوابها: ما يقول سيدنا وفقه الله تعالى في الداعي يقسم على الله تعالى بمعظم من خلقه في دعائه كالنبي صلى الله عليه وسلم والولي والمَلك، هل يكره له ذلك أم لا؟

الجواب: أما مسألة الدعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم بعض الناس الدعاء، فقال في أقواله: قل اللهم إني أقسم عليك بنبيك صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة.وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون محصوراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه سيد ولد آدم، وأن لايقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون مما خص به تنبيهاً على علو درجته ورتبته. (فتاوى سلطان العلماء ص: ٨٢ ــ٨٣).

وقد ذكر الحنفية[(١)] في متونهم في باب الحظر والإباحة أن قول الداعي المتوسل بحـــق الأنبـــياء والأولياء، وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وهي كالحـــرام بالعقوبـــة بالنار عند محمد[(٢)]، وقد عللوا ذلك بقولهم: لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكري[(٣)]: « وما زلـــت أبحـــث[عن هذه المسألة] وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعـــلماء، هل جوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء أو فعل ذلك أحد منهم، فما وجدته ثم وقفت على فتيا للفقيه أبي محمد بن عبد السلام؛ أفتى بأنه لا يجوز[التوسل] بغير النبي ﷺ وأما بالنبي[(٤)] فجوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك.

وذكر القدوري في شرح الكرخي عن أبي حنيفة وأبي يوسف لا يجوز أن يسأل إلا به. إنتهى كلامه.

وذكر ابن القيم رحمه الله عن أبي الحسين القدوري نحو ذلك، فقال:« قال القدوري: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقال: بمعاقد العز من عرشك، أو يقول: بحق

---

(١) انظر: التوسل والوسيلة (ص:٨٢ ، ٢٨٢) والفتاوى الهندية (٣١٨/٥) وشرح الفقه الأكبر(ص: ١٩٨) وشرح الإحياء للزبيدي (٢٨٥/٢) وجلاء العينين لنعمان الآلوسي (٤٧٠،٤٥٦،٤٥٢) وغاية الأماني لمحمود شكري الآلوسي (٢٥٥/١).

(٢) هو محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، كان من بحور العلم، ت: ١٨٩هـ. انظر ترجمته (السير١٣٤/٩) والميزان (٥١٣/٣) . وانظر أعلام الموقعين (٤١/١) في مسألة الكراهة والتحريم عند محمد.

(٣) انظر جلاء العينين (ص:٤٧٠) مع فروق يسيرة، وما بين معقوفات منه.

(٤) في الأصل: النبي. والتصويب من الجلاء.

خلقـــك، وهو قول أبي يوسف، قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشك هو الله فلا أكره ذلك، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحـــرام. قال القدوري: المسألة بحقه لا تجوز لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، فلا تجوز يعني وفاقاً » .[1]

وقـــال الـــبلدجي في شرح المختارة[2]: « ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقـــول: أســـألك بفـــلان أو بملائكتك أو بأنبيائك[3] أو نحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على الخالق » . إنتهى.

وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية[4] عن أبي حنيفة أنه قال[5]: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به » ، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] اهـــ.

قال الآلوسي[6] :« وأنت تعلم أن الأدعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله تعالى عليه وسلم، ولـــو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف أي بدعاء أو شفاعة

---

(١) وانظر التوسل والوسيلة (ص:٢٨٢)

(٢) في جلاء العينين؛ (ص:٤٨٣): المختار

(٣) في الأصل: أنبيائك ، والمثبت من الجلاء.

(٤) للإمام الفقيه عالم بن علاء الحنفي، كتابه الفتاوى كتاب عظيم جمع فيه مسائل المحيط البرهاني والذخيرة والخانية والظهيرية، أشار إلى جمعه الخان الأعظم تاتار خان، ولم يسمّ، ولذلك اشتهر به، وقيل: إنما سماه: زاد المسافر، كشف الظنون (١/٢٦٨).

(٥) انظر جلاء العينين (ص:٤٥٢)

(٦) هو أبو الثناء شهاب الدين محمود أفندي الشافعي ومفتي الحنفية ببغداد الشهير بالآلوسي، صاحب التفسير؛ روح المعاني، وله غير ذلك ؛ت:١٢٧٠هـــ.أنظر ترجمته:جلاء العينين(ص: ٤٣).

نبيك كما سمعت أو نحو ذلك كما ستسمع إن شاء الله تعالى ومن ادعى النص فعليه البيان» اهـ .

وجنح الشوكاني إلى رأي المجوزين قائلاً [١] :« إن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة، ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله فإذا قال القائل اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم » اهـ. وليته اقتصر على النص كما هي عادته رضي الله، عنه فإن المقام خطر جداً فكم تولد من ذلك من البدع والخروج إلى الإشراك. وأما قوله: إنه توسلٌ بأعمالهم الصالحة الخ ففيه نظر فإن نفعها لهم كما سيأتي بيانه من أنه لابد من سبب حاضر ظاهر بين السائل والمسؤول به، فتأمل!.

قال بعض فضلاء الهند[٢] بعد سياق كلام الشوكاني: «وأحوط الأقوال وأصح الأفعال [في هذا الباب] القصر على الوارد[٣] ، إن صح، لأن أكثر الخلق لا يعلمون ما يدخل في هذا من الشرك، كيف والشرك أخفى من دبيب النمل كما ورد بذلك الحديث » اهـ[٤] .

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن التوسل بمجرد ذوات الأنبياء والصالحين غير مشروع، وأنه سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب بخلاف من كان طالباً بالسبب المقتضي لحصول المطلوب، كالطالب منه سبحانه بدعاء

---

(١) انظر كلام الشوكاني في الدر النضيد مع الرسائل السلفية (ص:١٤٨)

(٢) الدين الخالص: لصديق حسن خان (٢/ ١٨٤) وما بين معقوفتين منه.

(٣) في الدين الخالص: المورد.

(٤) رواه أحمد (٤٠٣/٤) وحسنه الألباني صحيح الترغيب رقم (٣٣) .

الصالحين، وأعمال السائل الصالحة، فلا بد من سبب بين السائل وبينهم يوجب مقصوده، وذلك بأمرين:

١ ــ إما بطاعته، واتباعه لهم.

٢ ــ وإما بدعائهم له وشفاعتهم له؛

فمجــــرد ســـؤاله في دعائه بهم من غير طاعته واتباعه لهم ولا دعاء ولا شـــفاعة مـــنهم له فلا ينفعه، وإن عظم جاه أحدهم عند الله تعالى من المنازل والدرجات، فإنه أمر يعود نفعه إليهم.

ولـــزيادة إيضاح هذا المقام ننقل ما كتبه شيخ الإسلام في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري[1] ، قال رحمه الله: « وأما قول القائل: إن المتوسل إنما هو سائل الله تعالى راجٍ له عالم أن النفع والضر بيده لا شريك له، وإنما التوسل إلـــيه بمـــن يحـــبه الله تعالى لشرف منـــزلته عنده، ليكون أقرب إلى الإجابة، وحصول المراد، كطلب الدعاء من الرجل الصالح.

فيقال: توسل العبد إلى الله تعالى بما يحب لفظ مجمل؛

١ــ فـــإن أريد بما يحب الله تعالى أن يتوسل به إليه، فهذا حق، والله تعالى يحـــب أن يتوسل إليه بالإيمان والعمل الصالح، والصلاة والسلام على نبيه ﷺ، ومحبـــته وطاعته وموالاته، فهذه ونحوها هي من الأمور التي يحب الله تعالى أن يتوسل بها إليه.

٢ــ وإن أريد أنه يتوسل إليه بما يحب ذاتُه، وإن لم يكن هناك ما يحب الله تعالى أن يتوسل به، فهذا باطل عقلاً وشرعاً.

---

(١) في الأصل وجلاء العينين (ص:٤٦٥): ابن السبكي ؛وهو تصحيف وانظر تلخيص الاستغاثة في الرد على البكري (١٦٤/١ ــ ١٦٨) ووقع هنا فروق واختصار.

أمـــا عقلاً: فلأنه ليس في كون الشخص المعيّن محبوباً له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته، إذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضى به حاجتي، فإن كان منه دعاء لي، أو كان مني إيمان به وطاعة له، فلا ريب أن هذه وسيلة، وأمـــا نفـــس ذاته المحبوبة لله تعالى فأي وسيلة لي فيها، إذا لم يحصل لي السبب الـــذي أمرت به فيها. ولهذا لو توسل به من كفر به لم ينفعه، والمؤمن به ينفعه الإيمان به وهو أعظم الوسائل.

فتبين أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل:

١ـــ الإيمانُ بالرسل وطاعتهم.

٢ـــ وقول القائل للرجل: ادعُ لي، توسل بدعاء الصالحين، وهو من جملة الأسباب النافعة. كشفاعة النبي ﷺ.

وأمـــا المشروع[1] فيقال: إن العبادات مبناها[على][2] الاتباع لا الابتداع، ولـــيس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن الله به، ألا ترى أنه ليس لأحد أن يصـــلي إلى قبره ﷺ، ويقول: هو أحق بالصلاة ة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في الصحيح أنه قال: « **لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها** »[3] .ومن لم يعتصم بالكتاب والسنة ضلّ وأضلّ. وليس في قوة كل أحد أن يفهم أسرار العبادات ومنافعها ومضار ما ينهى عنه من ذلك، فعليه أن يُسلِّم

---

(١) في تلخيص الاستغاثة (١/١٦٥):وأما الشرع.

(٢) ما بين معقوفتين من تلخيص الاستغاثة؛ وجلاء العينين (ص:٤٦٦)

(٣) أخرجه مسلم (الجنائز ـــ باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ـــ ٢/ ٦٦٨ رقم: ٩٧٢). وأبو داود (الجنائز ـــ باب في كراهية القعود على القبور ـــ ٣/ ٥٥٤ رقم : ٣٢٢٩). والترمذي (الجنائز ـــ باب كراهية المشي على القبور والجلوس عليها...ـــ ٣/ ٣٦٧ رقم: ١٠٥٠) والنسائي (القبلة ـــ باب النهي عن الصلاة إلى القبر ـــ ٢/٤٠١رقم: ٧٥٩) وغيرهم عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

للشـــريعة، ويعـــلم أنهـــا جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. وإذا رأى من العبادات التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع علم أن ذلـــك لضـــرر فيها راجح على نفعها، ومفسدة راجحة على مصلحتها، إذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح.

فـــإن قـــال: أنا إذا توسلت بذاته إنما بعملي المعلق به وذلك أنه لحبي له وتعظيمي إياه توسلت به، وهذا مما يحبه الله تعالى مني.

قـــيل: حبك وتعظيمك له الذي هو من الإيمان به وهو يدعوك إلى زيادة الإيمان به وطاعته، وهو الذي يحبه الله تعالى منك، وأما حبك وتعظيمك الذي لا تقصـــد به إلا قضاء حاجتك الدنيوية، فهذا لا يحبه الله تعالى منك فإذا كان الداعـــي لم يؤمن به ولم يطعه بل سأل الله تعالى به وتوسل به، وأحبه وعظمه ليقضـــي حاجته بالتوسل به، لم يكن ذلك مما يحبه الله عز وجل بالضرورة، ولم يأمـــر الله تعـــالى بذلك بل لم يأمر الله تعالى إلا بالإيمان به والطاعة، وهذا إذا حصـــل كـــان أعظم الوسائل للعبد عند الله عز وجل وإن لم يحصل فلا وسيلة للعبد عند الله تعالى اهـــ.

وقال رحمه الله في بعض فتاويه[1]: «وهذا ــ أي ما قصده النبي صلى الله علـــيه وآلـــه من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد، وإخلاص الدين لله رب العـــالمين ــ ما يظهر به الفرق بين سؤال النبي ﷺ، والرجل الصالح في حياته، وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه، وذلك أنه في حياته لا يعبده أحد بحضوره فإذا كـــان الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحون أحياء لا يتركون أحداً يشرك بهم بحضـــورهم، بـــل يـــنهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه، ولهذا قال المسيح عليه

---

(١) مجموع الفتاوي (٢٧/٨٠)

السـلام : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧] وقال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله نداً ما شاء الله وحده**» [(١)]، وقال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**» [(٢)]، ولما قالت الجويرية:« وفينا رسول الله يعلم ما في غد » قال:«**دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين**» [(٣)]. وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» [(٤)]، ولما صفوا خلفه قياماً قال: «**لا تعظموني كما تعظم الأعاجم بعضهم بعضاً**» [(٥)]، وقال أنس: « لم يكن شيء أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك » [(٦)]، ولما سجد

---

(١) تقدم تخريجه في أول قسم التحقيق (ص: ٥١)

(٢) رواه أبو داود (الأدب ــ باب لا يقال خبثت نفسي ــ ٥/ ٢٥٩ رقم: ٤٩٨٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (النهي أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان ــ ص: ٥٤٤ رقم: ٩٨٥) وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) بلفظ ثم شاء فلان، بدل ثم شاء محمد.

(٣) أخرجه البخاري (النكاح ــ باب ضرب الدف في النكاح والوليمة ــ ٧/ ٢٥ طبعة الشعب)وغيره، ولفظه: دعي هذه.....

(٤) رواه البخاري رقم (٣٤٤٥) .

(٥) رواه أبو داود (الأدب ــ باب في قيام الرجل للرجل ــ ٥ / ٣٩٨ رقم: ٥٢٣٠) وابن ماجه (الدعاء ــ باب دعاء رسول الله ﷺ ــ ٢/ ١٢٦١ رقم: ٣٨٣٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه، نحوه، وفي الباب عن جابر عند مسلم (الصلاة ــ باب ائتمام المأموم بالإمام ــ ١/ ٣٠٩ رقم: ٤١٣).

(٦) رواه الترمذي (الأدب ــ باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ــ ٥/ ٨٤ رقم: ٢٧٥٤) وقال: حسن صحيح، غريب من هذا الوجه.

لـــه معـــاذ نهاه وقال: «**إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**»[1].

ولمـــا أتي علي بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الإلهية أمر بتحريقهم بالـــنار[2]. فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه، وإنما يقرّ على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علواً في الأرض وفساداً، كفرعون ونحوه، ومشايخ الضلال الذين غرضـــهم العلو في الأرض والفساد والفتنة بالأنبياء والصالحين، واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم، مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم، كما أشرك بالمسيح وعزير، فهذا مما يبين الفرق بين سؤال النبي ﷺ والصالح في حياته وحضوره، وبين سؤاله في مماتـــه ومغيبه، ولم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تـــابعي الـــتابعين، يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم، ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم، وكذلك العكوف اهـــ.

فظهر لك مما قررناه وما نقلناه؛ أن المشروع في التوسل بالأنبياء والصالحين إنما هو في حياتهم بدعائهم كما نقول للرجل الصالح: أدع الله لنا، وكما حصل في استســـقاء الصـــحابة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، ثم من بعده بعمـــه العـــباس، ثم بالخيار من الناس في كل زمان ومكان إلى يومنا هذا، وأما الميت فلا يطلب منه دعاء ولا غيره ولا يتوسل به في دعاء ولا غيره، وستسمع

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٨١، ٥/ ٢٢٨، ٦/٧٦) وابن ماجه (النكاح ــ باب حق الزوج على المرأة ــ ١/٥٩٥ رقم: ١٨٥٣) وابن حبان في صحيحه (٩/٤٧٩ رقم: ٤١٧١ــ الأرناؤوط) والبيهقي (٧/٢٩٢) وفي الباب عن جمع من الصحابة.

(٢) رواه البخاري (الجهاد ــ باب لا يعذب بعذاب الله ــ ٦/ ١٧٣ رقم: ٣٠١٧ وفي (استتابة المرتدين ــ باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ــ١٢/٢٧٩ رقم: ٦٩٢٢) وفيه اعتراض ابن عباس على التحريق وبيان أن الصواب تقتيلهم، وليس عند البخاري أنهم اعتقدوا إلهية عليّ رضي الله عنه،بل فيه أنهم ارتدوا، وقد روى أبو الطاهر المخلص، في الجزء الثاني، أنهم اعتقدوا فيه الإلهية، وحسن الحافظ إسناده (انظر فتح الباري:١٢/٢٨٢)

الجـــواب عن تلك الدلائل الشتى التي ذكرها الهندي دليلاً، ولو سلم أن هناك دلـــيل يشم منه رائحة التوسل بذات المخلوقين فلا يصار إليه، ولا يقاس عليه، ويجـــاب عـــنه بأنه على حذف مضاف، أو أنه مؤول، أو يؤتى به كما ورد، ويكون من المتشابه؛ فإن السنة كالقرآن فيها المتشابه والمحكم، فيرد متشابهها إلى المحكم، فكلام النبي ﷺ لا يتناقض ولا يضرب بعضه بعضاً، ويوافق القرآن ولا يناقضـــه، وهذا أصل عظيم تجب مراعاته، ومن أهمله وقع في أمر عظيم وهو لا يـــدري. فقهـــنا الله وإياكم في الدين، وجعلنا من عباده المخلصين، ممن يعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال ويميز القائل بالمقال لا المقال بالقائل.

قال الهندي:« الأول بالقرآن المجيد والفرقان الحميد فانظر إلى تفسير الدر المنثور للعلامة جلال الدين السيوطي »[1] ثم ذكر ذلك الحديث المرفوع.

أقول: ثبِّت الجدار ثم انقش، واعرف الحديث وما قيل فيه، وفي حال راويه فلـــيس كـــل مرفوعٍ حجة، كما أنه ليس كل مستدير رغيفاً، فلو كان ذلك الحديـــث صـــحيحاً لقدمـــه جميع المفسرين على جميع الأقوال في تفسير تلك الكـــلمات ــــ ولـــو كانت للصحابة ــــ ولم يُهمل ذكرَهُ أئمةُ التفسير المعوَّل علـــيهم، ولكـــنهم رأوه من الإسرائيليات، وأجمعوا على ضعف راويه فتركوه ورمـــوه ظهرياً، فإن الحديث الصحيح عندهم: ما رواه العدل الضابط عن مثله مـــن غير شذوذ ولا علة. وعلى فرض صحته فهو خبر آحاد لا يفيد اليقين بل يفيد الظن[2] عند من صح عنده، ولا تقوم به حجة على من قامت عنده الأدلة

---

(١) الدر المنثور (١/١١٦)

(٢) قوله: إن حديث الآحاد يفيد الظن ليس على إطلاقه، بل قد يفيد اليقين، وقد ينزل عن هذه المرتبة. والأصل أن الحديث الذي تلقته الأمة بالقبول، أو هو في الصحيحين، يفيد اليقين، وانظر في ذلك: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٥٧١/٢ وما بعدها ــــ مكتبة المتنبي، القاهرة)، ورسالة العلامة الألباني: " الحديث حجة بنفسه"، و "أصل الاعتقاد" للدكتور عمر الأشقر.

عـــلى عدم صحته، ثم الحافظ السيوطي لم يلتزم الصحة في تفسيره الدر المنثور، وقـــد اشتهر بالإكثار وقلما سلم مهذار[١]، حتى قال فيه بعضهم: أنه كحاطب ليل ربما كانت الأفعى في حطبه، وقد انتقده الحافظ السخاوي في الضوء اللامع، وذلـــك لا يـــنقص من جلالة قدره وفضائله الجمة فالسعيد من عدت سيئاته وحفظت غلطاته.

ومن ذا الذي ترضى سجايـــاه كلها

كفى المـــرء نبـــلاً أن تعـــد معايبه

وكـــيف احتج هذا الهندي بهذه الآية التي تحتمل جملةَ وجوه في تفسيرها، كمـــا ذكرها الجلال السيوطي، أما يعلم أن الدليل إذا طرقه الاحتمال سقط به الاســـتدلال، فمن أي لفظ من ألفاظ ذلك الحديث فَهِم الحصر في تفسير تلك الكلمات بها بأنه لا يجوز تفسيرها الآية حتى يجعلها دليلاً قاطعاً لا احتمال فيه. نقول له ذلك كما قال لنا: من أي لفظ قتادة ومجاهد فَهِم الحصر.

قال الهندي: (قال (أي السيوطي) في تفسير الكلمات قال: قال رسول الله ﷺ : « **لمـــا أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه فقال: أسألك بحق محمـــد أن غفـــرت لي، فـــأوحى الله إليه: ومن محمد، فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله**

---

(١) يقال: هَذِر كلامه: كثر في الخطأ والباطل، وهذر في منطقه فهو مهذار....(القاموس المحيط ص:٦٣٩).

إلـــيه: يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك لولاه ما خلقتك » هذا حديث حدثه من المحدثين: الطبراني، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي»(١)

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥) من حديث عبد الله بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب ، ورواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٨، ٤٨٩) من الطريق نفسه وقال: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف والله أعلم . ورواه الطبراني في الصغير (٢/ ٨٢، ٨٣) والأوسط (مجمع البحرين ٦/ ١٥١) و(مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣) .وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم. ورواه الآجري في الشريعة (ص:٤٢٧) من حديث أبي عبد الرحمن بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي مريم عن عبد الرحمن به موقوفاً . ورواه الآجري أيضاً (ص: ٤٢٢ ــ ٤٢٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه موقوفاً عليه.

أقوال العلماء في تضعيف الحديث:

١. تقدم قول البيهقي أثناء التخريج.
٢. ابن تيمية: ضعف الحديث بعبد الرحمن بن زيد (التوسل والوسيلة ص:١٦٨ ــ ١١٦٩) وغيرها
٣. الذهبي: حكم عليه بالوضع ، فقال معقباً على تصحيح الحاكم: بل موضوع، عبد الرحمن واه وعبد الله بن مسلم الفهري؛لا أدري من ذا ! وساق الذهبي في الميزان في ترجمة الفهري هذا الحديث ووصفه بأنه باطل (٢/٥٠٤).
٤. الإمام ابن عبد الهادي؛ قال:(ضعيف الإسناد جداً، وقد حكم عليه بعض الإئمة بالوضع) وقال مرة:بل هو حديث موضوع .انظر الصارم المنكي (ص: ٦٠ ــ ٦١ و ٦٣)
٥. الحافظ الهيثمي: حكم على إسناد الطبراني بقوله: (وفيه من لم أعرفهم) (مجمع الزوائد٨/٢٥٣)
٦. الحافظ ابن حجر: أقرّ كلام الذهبي في الميزان وزاد عليه أقوالاً في تجريح الرواة (لسان الميزان٣/ ٣٥٩)، وقد عدّ ابن حجر في النكت على ابن الصلاح تصحيح الحاكم لهذا الحديث من عجائب ما وقع للحاكم من التساهل والغفلة (النكت١/٣٢٠ ــ ٣٢١)
٧. الزرقاني في شرحه على المواهب (١/٦٢ ــ ٦٣ دار المعرفة) ذكر تضعيفه مرتين.
٨. العلامة حمد بن ناصر التميمي كما في النبذة الشريفة (ص:١٠٧) وكما نقل عنه المؤلف في هذا الكتاب كما سيأتي
٩. العلامة محمد حامد الفقي المصري الأزهري ــ رحمه الله ــ قال في تعليقه على الشريعة للآجري (ص:٤٢٧): ورواته مجاهيل والسند ظلمات.
١٠. العلامة محمد ناصر الدين الألباني تكلم عن هذا الحديث في كتابه التوسل أنواعه وأحكامه (ص: ١١٦) وهناك علماء آخرون تكلموا عن هذا الحديث لامجال لذكرهم هنا.

أقـــول : الذي في الدر المنثور خمس، الخامس: ابن عساكر يرويه جميعهم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب يرفعه. ولـــيس عندي من كتب هؤلاء الحفاظ إلا معجم الطبراني الصغير، وإسناده فيه هكـــذا: عن محمد بن داود ابن أسلم الصدفي المصري عن أحمد بن سعيد المدني الفهري عن عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب، وبعد سياق المتن قال: لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن سعيد اهـــ.

قـــال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن اهـــ. وقال بعضهم: صححه الحاكم اهـــ وفي تصـــحيحه نظر فليس كل ما صححه مقبولاً؛ قال المدراسي [١] في كشـــف الأحوال في نقد الرجال[٢]: إن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاق، وكذا في تقريب التهذيب[٣].

قال العلامة أحمد بن ناصر التميمي [٤] في جوابه على رسالة الفاضل اليمني محمد بن أحمد الحفظي [١] سنة ١٢١٧ ما نصه[٢] :

---

(١) هو الأمير محمد عبد الوهاب بن مولوي محمد غوث بن نا صر الدين المدراسي الشافعي مدار الأمراء مدبر الملك، ولد سنة ١٢٠٨هـــ. من مصنفاته: أكمل الوسائل لرجال الشمائل، وكشف الأحوال في نقد الرجال في أسماء الضعفاء، وكشف الرموزات إلى الورقات في الأصول، وهبة الوهاب في الفقه الشافعي، توفي سنة ١٢٨٥هـــ.

*انظر نزهة الخواطر (٧/٣١٥ـــ ٣١٦)

(٢) كشف الأحوال في نقد الرجال (ص: ٦٦).

(٣) التقريب (ص: ٣٤٠).

(٤) أحمد، ويقال: حمد بن ناصر بن عثمان بن حمد آل معمر العنقري السعدي التميمي النجدي، كان من بيت نفوذ وإمارة، تلقى علومه على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب،والشيخ حسين بن غنام ، برع زنبغ وذاع صيته وقصد بالأسئلة من أنحاء الجزيرة، وبعثه الإمام عبد العزيز بن محمد عام ١٢١١هـــ إلى الشريف غالب أمير مكة ليناظر علماء المسجد الحرام في التوحيد ، توفي في مكة وصلي عليه عند الكعبة في العشر الأوسط من ذي الحجة ١٢٢٥هـــ.

"وأما قول القائل: فقد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه أن آدم توسل بالـــنبي ﷺ، فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال أحمد ابن حنبل: ضعيف، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وضعفه ابن المديني جداً، وقال أبو داود: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف، وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثاً، فقال من حدثك؟ فذكر إسناداً له منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث، كـــان في نفسه صالحاً وفي الحديث واهياً. وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الـــترك. وقال ابن سعد: كان كثير الحديث ضعيفاً جداً. وقال ابن خزيمة: ليس هو مما يحتج أهل العلم بحديثه. وقال الحاكم[٣] وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه[٤].

---

*انظر ترجمته: علماء نجد خلال ستة قرون (١/٢٣٩ــ ٢٤٣) وعنوان المجد (١/١٥٤)

(١) محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي ، العجيلي، العسيري، الرجالي، برع في فنون عدة وكان سريع البادرة، حسن المحاضرة، مع تواضع ودماثة أخلاق، واشتغال بما يقربه إلى الملك الخلاق..ولما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان ممن مال إليها وحث الناس عليها، له من المؤلفات : اللجام المكين والزمام المتين، ودرجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين، وله مؤلفات في النحو. توفي سنة ١٢٣٧هــ. *انظر ترجمته نيل الوطر (٢/٢٢٥) ومعجم المؤلفين (٧٤/٣) ومقدمة كتاب (اللجام المكين).

(٢) طبعت بعنوان النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، وانظر (ص: ١٠٧ ـــ ١٠٩).

(٣) في الأصل الحكم، والتصويب من المصادر.

(٤) انظر الكلام في عبد الرحمن بن زيد؛ في الضعفاء الصغير للبخاري (ص:٤٥٦رقم:٢٠٨ــ السيروان) والضعفاء والمتروكين للنسائي (ص: ١٤٩رقم٣٦٠ــ السيروان) المجروحين لابن حبان (٢/ ٥٧ ـــ ٥٨) وتهذيب الكمال (١١٦/١٧) والميزان (٢/ ٥٦٤ــ ٥٦٦) وتهذيب التهذيب (٦/ ١٧٧).

فهـذا الحديـث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمن بن زيد وهو كما تسمع.

وقال الشيخ تقي الدين في رده على ابن البكري[١] : *وأما قول القائل: قد توسـل بـه الأنبياء ؛ آدم وإدريس ونوح وأيوب، كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها فيقال مثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها بإجماع المسلمين، فإن الناس لهم في شرع مَن قبلنا قولان :*

أحدهما: أنه ليس بحجة .

الـثاني: أنـه حجة ما لم يأت شرعنا بخلافه ، بشرط أن يثبت ذلك بنقل معلوم، كإخبار النبي ﷺ ، فأما الاعتماد على نقل أهل الكتاب أو نقل من نقل عنهم فلا يجوز باتفاق المسلمين، لأن في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إذا حدثكـم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم** » [٢] ، وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الأنبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة، ولا لها إسـناد معـروف عـن أحـد مـن الصحابة، وإنما تذكر مرسلة كما تذكر الإسـرائيليات الـتي تروى عمن لا يعرف. وقد بسطنا [٣] الكلام في غير هذا

---

(١) انظر الرد على البكري (تلخيص الاستغاثة١/١٥٨ ــ ١٦١) وجاء في النبذة الشريفة (ص: ١٠٨) البكري، دون (ابن).

(٢) أخرج البخاري (التفسير فب تفسير سورة البقرة ــ باب قولوا آمنا بالله... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا تصدقوا أهل الكتاب بما يحدثونكم عن الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا...) وروى أبو داود من حديث أبي نملة الأنصاري (العلم ــ باب رواية حديث أهل الكتاب ــ ٤/ ٥٩رقم ٣٦٤٤ بلفظ: ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله...) وأخرجه أحمد (١٣٦/٤) وضعف الألباني رواية أبي داود عن أبي نملة... انظر ضعيف الجامع (ص: ٧٣٠ رقم: ٥٠٥٢)

(٣) في النبذة الشريفة (ص:١٠٩) وقد بسط الكلام.

الموضع[١]،على ما نقل في ذلك عن النبي ﷺ، وتكلمنا عليه، وبينا بطلانه، ولو نقل ذلك عن كعب ووهب، ومالك بن دينار ونحوهم، ممن ينقل عن أهل الكتاب لم يجز أن يحتج به، لأن الواحد من هؤلاء وإن كان ثقة فغاية ما عنده *[أن ينقل]*[٢] *من كتاب من كتب أهل الكتاب أو يسمعه من بعضهم فإنه بينه* وبين الأنبياء دهر طويل.

والمرسل عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين. ومراسيل أهل زماننا عن نبينا ﷺ لا تقبل عند العلماء، مع كون ديننا محفوظاً محروساً، فكيف بما يرسل عن آدم وإدريس ونوح وأيوب عليهم السلام؟ والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شيء من هذا.

وقد نقل أبو نعيم في الحلية أن داود عليه السلام قال: يا رب أسألك بحق آبائي عليك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: «يا داود أي حق لآبائك علي»[٣] فإن كانت الإسرائيليات حجة فهذا يدل على أنه لا يسأل بحق الأنبياء وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الإسرائيليات انتهى [كلامه][٤] .

فبين رحمه الله أنه لم يصح في هذا شيء عن النبي ﷺ وأن جميع ما روي في ذلك باطل لا أصل له أهـ.

---

(١) في الأصل: الموضوع، والتصويب من النبذة الشريفة.

(٢) ما بين معقوفتين من النبذة الشريفة (ص: ١١٠).

(٣) ورد مثل هذا القول عن يوسف عليه السلام في الحلية (١٠/٩) في ترجمة أحمد بن أبي الحواري. وذكره ابن تيمية عن يوسف عليه السلام في رده على البكري(تلخيص الاستغاثة ١/٨٢ ــ٨٣) ثم قال:وقد ذكر بعض الناس في هذا الأثر أن الله قال له:وأي حق لآبائك علي ؟.ثم هنا تراه ينسبه لداوود عليه السلام ، و لم أعثر عليه في الحلية عن داوود عليه السلام.والله أعلم.

(٤) ما بين معقوفتين من النبذة الشريفة (ص: ١١١) .

وأما ما رواه ابن حميد الرازي من الحكاية المنسوبة إلى مالك رحمه الله مع أبي جعفر المنصور، وفيها أنه سأل مالكاً، فقال: يا أبا عبد الله! أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به[1]، فقد رد الحفّاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا أن إسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يتهم بالكذب، وقالوا: ابن حميد كثير المناكير، ولم يسمع من مالك شيئاً، بل روايته عنه منقطعة.

ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الأئمة ونسبه بعضهم إلى الكذب، فقال يعقوب بن شيبة السدوسي[2]: "محمد بن حميد الرازي، كثير المناكير"، وقال [البخاري][3]: "حديثه فيه نظر". وقال النسائي: "ليس بثقة". وقال الجوزجاني: "رديء المذهب غير ثقة". وقال الرازي: "عندي عنه خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف". وقال ابن الأزهري: "سمعت إسحاق بن منصور يقول: أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان، وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ أهـ[4].

قال الهندي:« بهذا علم أن التوسل بالأنبياء محبوب عند الله يجاب به الدعاء هو شيء علمه الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام»

---

(١) روى هذه القصة القاضي عياض في الشفاء (٢/ ٤٠ ــ ٤١ دار الفكر، بحاشية الشمني) وهي رواية لا تصح كما سيأتي.

(٢) في الأصل: السندوسي، وهو تصحيف.

(٣) ما بين معقوفتين من الميزان (٣/ ٥٣٠) والصارم المنكي (ص:٣٤٦) وغيرها.

(٤) انظر المصدرين السابقين. وتذكرة الحفاظ (٢/ ٤٩٠ــ ٤٩١)

أقول: بما قدمناه علم أن ما ذكره لا يحصل به العلم بهذه النتيجة. ولو كان التوسل محبوباً عند الله لكان محبوباً عند رسوله وأصحابه والتابعين وتابعيهم، ولكثر في كلامهم. وكان شائعاً في تلك القرون الفاضلة. ولتوفرت الدواعي على نقله، واستفاض استفاضةً لم يحتج معها إلى إيراد حديث معلول شاذ، أو ما في معناه احتمال، وقد سمعت نصوص الحنفية في المنع من إطلاق لفظة بحق أنبيائك.

وأما قوله ﷺ في حديث الخارج إلى الصلاة: « **أسألك بحق السائلين وبحق ممشاي**[1] الخ» فرواه عطية العوفي وفيه وَهَن، قال الحافظ ابن حجر: ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح[2]، وعلى تقدير ثبوته فهو من باب التوسل بأسماء الله وصفاته. فإن حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يثيبهم، وحق الأنبياء أن يقربهم ويتفضل بما يخصهم. فالسؤال له والطاعة سبب لحصول إجابته وإثابته، فهو من التوسل به والتوجه به، والتسبب به. وذلك من أفعال الله فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه كما قال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [الروم:٤٧] وكما في حديث معاذ: « **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا**

(١) أخرجه أحمد (٣/٢١) وابن ماجه (المساجد والجماعات ـ باب المشي إلى الصلاة ـ ١/ ٢٥٦ رقم:٧٧٨) وابن السني في اليوم والليلة (رقم:٨٤) وغيرهم، فيه: فضيل بن مرزوق، وثقه جماعة وضعفه آخرون، وعطية العوفي: وهو ضعيف بالإجماع مع تدليسه. قال البوصيري في زوائد ابن ماجة: هذا الإسناد مسلسل بالضعفاء أهـ. وضعفه ابن تيمية في القاعدة الجليلة (ص:٢١٥)، والألباني في الضعيفة (رقم:٢٤) وغيرهم من أهل العلم. وقد صنف الأخ الفاضل: علي بن حسن الحلبي الأثري جزءاً في هذا الحديث وبين فيه ضعفه وأقوال أهل العلم فيه، وسماه ((الكشف والتبيين عن حال حديث (اللهم إني أسألك بحق السائلين))).

(٢) انظر الكلام في عطية: الميزان (٣/٧٩ـ٨٠).

يعذبهـــم »[١] ولا يصلح أن يجعل ما في هذا الحديث من باب التوسل بالأعمال إلا قولـــه: وأسألك بحق ممشاي؛ لأن الممشى إلى الطاعة امتثالاً لأمره[٢] عمل طاعة، وهو سبب في حق السائل.

قال الهندي: "وهذا التوسل والاستمداد من آدم كان قبل ولادة نبينا ﷺ ألـــوف سنين، كيف لا يجوز بعد الولادة وبعد ارتحاله عليه الصلاة والسلام من دار الدنيا إلى دار البقاء ورد في الحديث الصحيح : « **الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم** »[٣]".

أقـــول: انظر إلى هذه النتائج المترتبة بعضها على بعض استنباطاً من ذلك الحديث المرفوع، فلله دره ما أقدره على إيراد هذه الحجج الساطعة، والبراهين القاطعـــة، وكيف سوّى بين حاله ﷺ في الدنيا وحاله بعد انتقاله عنها بحديث: « **الأنبـــياء أحـــياء يصلون في قبورهم** » فهل يقول: إنهما متساويان في كل

---

(١) أخرجه البخاري (الجهاد ـــ باب اسم الفرس والحمار ـــ ٦/ ٦٩ رقم: ٢٨٥٦) و (اللباس ـــ باب إرداف الرجل خلف الرجل ـــ ٤١٢/١٠ رقم: ٥٩٦٧) وفي (الرقاق ـــ باب من جاهد نفسه في طاعة الله ـــ ٣٤٥/١١ رقم: ٦٥٠٠) وفي (التوحيد ـــ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ـــ ٣٥٩/١٣ رقم: ٧٣٧٣) ومسلم (الإيمان ـــ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ـــ ٥٨/١ رقم: ٣٠).

(٢) وقع في الأصل: لا من، والتصويب من جلاء العينين (ص:٤٥٣)

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (١٤٧/٦رقم:٣٤٢٥) والبزار (مجمع الزوائد ٢١١/٨) والديلمي في الفردوس (١١٩/١رقم:٤٠٣) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٤٤/٣) والبيهقي في حياة الأنبياء بعد وفاتهم (رقم:١،٢) وغيرهم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١١) رجال أبي يعلى ثقات، وحسنه المناوي في فيض القدير (١٨٤/٣). وقال الألباني: إسناده جيد (الصحيحة:٢/ ١٨٩) وصححه في صحيح الجامع (رقم:٢٧٩٠). وذكره الذهبي في الميزان (٥١٨/١) وقال مرة: منكر (٤٦٠/١) واستنكره وضعفه أيضاً ابن القيم في النونية (١٧١/٢ مع شرح ابن عيسى) والعلامة محمد عبد الرزاق حمزة في تعليقه على الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي في تكملة الصارم المنكي (ص٣٩٢) دار الفضيلة.

شـــيء؟ أظنه لا يقول ذلك، لما يترتب عليه من الأحكام الكثيرة كما لا يخفى عـــلى مـــن لـــه أدنى بصيرة، فإن حياة الأنبياء في قبورهم برزخية فوق حياة الشهداء، لا تقتضي لوازم الحياة الدنيوية من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك، وتلك الصلاة ليست بحكم التكليف بل بحكم الإكرام لهم والتشريف، من قبـــيل الأحوال البرزخية؛ كسؤال الملكين ونعيم الميت وعذابه مما لا يرى، وإن كان الميت مرئياً فأحوال البرزخ لا تقاس على أحوال الدنيا.

وأمـــا كونه ﷺ مرّ ليلة المعراج على موسى فرآه يصلي فذاك أمر خارق للعـــادة، وقد تقدم بعض الكلام على حياة الأنبياء في المقدمة من ما قاله الإمام صنع الله الحلبي الحنفي، وقد كثر البحث فيها عند بعض المتأخرين وهم في غنية عنه، فإنهم يثبتون التصرف للأولياء بعد مماتهم معتقدين أنهم أقوى حالا مما كانوا في حياتهم لصفاء أرواحهم وتخلصها من كثافة أجسامهم.

لقد أسمعت لو ناديت حيـــاً ... ولكن لا حياة لمن تنـــادي

وحيـــث قـــد ظهر الفرق للمؤمن المتشرع بين حياته ﷺ الدنيوية وحياته البرزخية فإنه يمنع من الطلب منه ﷺ ومن غيره ممن كان في البرزخ، لأنه عبادة لا تلـــيق لمن اتصف بالعبودية، ولا يتوسل به ﷺ ولا بغيره اقتداءً به وبصحابته من بعده، بل يتوسل بالإيمان به وبمحبته ومتابعته.

ثم انظر إلى قول الهندي: (والاستمداد) أي طلب المدد وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ في جانب المشايخ المعظمين، فيقال: استمداد منهم، ويقال: (مدد يا شـــيخ) وأظـــنه لم يَسْرِ إلى الناس إلا من الهند فإنهم يقولون للمعاون لرجل من رجال الحكومة: (مدد كار) فيخرج هذا وأمثاله من التوسل إلى الاستمداد ومن الاســـتغاثة بالغير إلى الاستغاثة من الغير، وبالجملة فإنهم يطلبون من غير الله من

الأمـــوات، ويســـمون ذلك الطلب توسلاً واستغاثة وكلامنا الآن في التوسل بالأنبياء والصالحين إلى الله بتوجيه الطلب منه سبحانه وتعالى.

قـــال الهـــندي: " والثاني: أخرج الترمذي[1] بسند صحيح أن عثمان بن حنيف قال: إن رجلاً أعمى جاء بحضرة النبي ﷺ وشكا ذهاب بصره قال: ادع الله لي أن يعطـــيني البصـــارة، قـــال النبي ﷺ: **لو شئتَ فادع الله، ولو شئتَ فاصـــبر، والصبر خير لك**، قال الرجل: يا رسول الله ادع الله، قال النبي ﷺ: **توضأ وأحسن الوضوء ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الـــرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه فيّ**» ، ورد في الحديث أنه لما مسح يديه على وجهه صار أبصر من الأول ".

أقول: الذي في سنن الترمذي ما نصه: (حدثنا محمود بن غيلان: نا عثمان بـــن عمر: نا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنـــيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ ،فقال: أدع الله أن يعافيني، قال : « **إن شئتَ دعوتُ ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك** » ، قال: فادعه. فأمره أن يتوضـــأ فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء: « **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، الـــلهم فشفعه فيّ**» هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي) أ.هـــ.[2] وفي نسخة أخرى: « **إني توجهت به إلى ربي**» وقد رواه النسائي في اليوم والليلة، والبيهقي، وابن

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٧٥).

(٢) وجاء في نسخة أنه الخَطْمي، وهي المشار إليها سابقاً ، وفي نسخة ابن تيمية: غير الخطمي ، قال ابن تيمية: (قاعدة جليلة ص: ١٨٧) وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصواب أ.هـــ.

شـــاهين، في دلائلهما ؛ كلهم عن عثمان بن حنيف، وساقوه بقريب من سياق الـــترمذي، وليســـت فيه لفظة :يا محمد ![1] وقد ساقه الهندي بما سمعت من التحريف والكذب، شأن القصاصين. وقد سبقت الإشارة إلى الجواب عنه بأنه من باب التوسل بدعاء النبي ﷺ كما في الاستسقاء؛ فإن قوله: أسألك وأتوجه إلـــيك بنبيك محمد، على حذف مضاف، أي : بدعائه وشفاعته كما يقتضيه السياق.

قال العلامة المناوي: سأل الله أولاً أن يأذن لنبيه أن يشفع ثم أقبل على النبي ﷺ ملتمساً شفاعته له ثم كَرَّ مقبلاً على ربه أن يقبل شفاعتَهُ [2] .أ.هـــ.

قال في اقتضاء الصراط المستقيم [3] : (فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء [4] دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يطلب منه ذلك، والميت لا يطلب منه شيء، لا دعاء ولا غيره.

وكذلك حديث الأعمى، فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد [الله][5] علـــيه بصره، فعلمه النبي ﷺ دعاءً أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه، فهـــذا يـــدل على أن النبي شفع فيه، وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته[6] ، وأن

---

(١) أما في المطبوع من عمل اليوم والليلة (ص٤١٨) ففيه لفظة: يا محمد .وهذه اللفظة لا تضر ، ولا تغير من الاستدلال ، إذ المقصود استحضار المخاطب في القلب وهذا أمر جائز، كقولنا في الصلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وسيأتي الكلام عن ذلك قريباً . إن شاء الله .

(٢) فيض القدير للمناوي (٢/١٣٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/٧٩٢ـــ٧٩٣).

(٤) في الاقتضاء: يفعله الأحياء.

(٥) ما بين معقوفتين من الاقتضاء (٢/٧٩٣).

(٦) في الاقتضاء: الشفاعة.

قوله: « **أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة** » ، أي بدعائه وشفاعته، كما قال عمر:« **كنا نتوسل إليك بنبينا** » .فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد، ثم قال:« **يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضيها، اللهم فشفعه فيّ** » فطلب من الله أن يُشَفّع فيه نبيه. وقوله: « **يا محمد يا نبي الله** »هذا وأمثاله نداء، ويطلب[1] به استحضار المنادى [في القلب][2] فيخاطب المشهود بالقلب، كما يقول المصلي: « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . والإنسان يفعل مثل هذا كثيراً، يخاطب من يتصوره في نفسه، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب). انتهى.

وأما ما روي من أن عثمان بن حنيف راوي هذا الحديث عَلّم هذا الدعاء لمن كان له حاجة عند عثمان، زمن إمارته بعده ﷺ وعَسُرَ عليه قضاؤها، وفعله فقضاها[3]، فذلك رأي من عثمان بن حنيف قصداً للتبرك بألفاظ النبي ﷺ من

---

(١) في الاقتضاء: يطلب.

(٢) ما بين معقوفتين من الاقتضاء.

(٣) رواها الطبراني في الكبير (رقم:٨٣١١) والصغير (١/١٨٣ــ١٨٤) وهي من رواية ابن وهب عن شبيب بن سعيد وهي رواية منكرة كما نص على ذلك أهل العلم .بالإضافة إلى جهالة شيخ الطبراني، انظر الكامل لابن عدي (٤/١٣٤٧) والميزان للذهبي (٢/٢٦٢) وانظر كتاب التوسل للألباني (ص:٩٢ــ٩٩) وهذه مفاهيمنا، للشيخ صالح عبد العزيز آل الشيخ (ص:٣٧ وما بعدها) وكشف المتواري من تلبيسات الغماري، لعلي بن حسن عبد الحميد الحلبي ، هذا من جهة الإسناد، وأما من جهة المتن فإليك ما قاله ابن تيمية (قاعدة جليلة ص:٢١٠): وأما إذا لم يعرف (عن الصحابي) هل وافقه غيره (من الصحابة) أو خالفه لم يجزم بأحدهما (أي هل قوله حجة أم لا). ومتى كانت السنة تدل على خلافه كانت الحجة في سنة رسول الله ﷺ لا فيما يخالفها بلا ريب عند أهل العلم. وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعياً له ولا شافعاً فيه، فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا أن هذا مشروعاً بعد مماته، كما كان يشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم=

غير قصد استغاثة في الشفاعة، إن صحت تلك الرواية، فإن في سندها مقالاً، بل قال بعضهم: إن أمارات الوضع لائحة عليها، وقد علمت أن الحديث إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به، ولو رواه العدل الضابط عن مثله. ومن احتج به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نصوص الكتاب والسنة. وعمل الصحابة ومن بعدهم، مع أنه ليس فيه دعاء بل هو توسل بنداء الحاضر، والدعاء أخص من النداء، فليس كل نداء دعاءً، إذ الدعاء نداء عبادة متضمن للسؤال والطلب من المنادى، لجلب نفع أو دفع ضر، ولو بقرينة المقام، كأن يقول من أشرف على هلاك كالغرق مثلاً: يا الله، فهذا دعاء المضطر. فكيف يدعو المضطر غير الله فيقول: يا فلان في ذلك المقام والله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢] وكيف يحتج العالم بذلك الحديث على جوازه وقد سمعت ما قررناه؟ وكيف يكابر بأن هذا القائل لا يعتقد النفع والضرر فيمن ناداه، وهو يعتقد بأنه يسمع صوته، ولو كان في الشرق والمنادي بالغرب، وأنه يعلم ما نزل به من الشدة وما حلّ به من الكربة؟ أفلا يكون نافعاً لمن يعتقد فيه أنه يعلم الغيب ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف:١٨٨]. ونبينا مع كونه سيد ولد آدم، وحيّاً في قبره لا يعلم الغيب وهو لا يعلم الغيب في الدنيا فكيفما[1] بعد وفاته؟ كما هو مبسوط في كتب الفقه، فكيف يقول هذا العالم: إن ذلك مجاز إسنادي، وأن قرينته الإسلام؟ وهو لا يمكنه إنكار ما سبق، ثم يقرأ كل يوم في الكتب الفقهية، ويقرر في باب الردة ألفاظاً يكفر الناطق بها بمجرد التلفظ بها من غير اعتبار المجاز، وتلك القرينة التي صارت له

=يتوسلوا. بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور...((اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)) فيسقون. وانظر إلى بقية كلامه هناك.

(١) هكذا في الأصل.

قريـــنة، فهو إما جاهل أو متجاهل بما صرف ذلك القائل يا فلان من العبادات الخاصة به تعالى إلى غيره، والحال ما ذكر.

فوالله إن العاميّ الذكي ليدرك ذلك بفطرته السليمة لو رجع إليها، وخُلّي بيـــنه وبيـــنها، فقد حُكيَ أن شامياً من العوام كان في سفينة لعبت بها الأمواج وأشـــرفت عـــلى الغرق، فقام الناس يصيحون وينادون من أعماق قلوبهم: يا رفاعي!! يا جيلاني!! يا بدوي!! فرفع ذلك الشامي طرفه إلى السماء وقال: (يا سيدي غرّق غرّق، الناس نسيوك!! يا سيدي غرّق غرّق، الناس ما بيعرفوك!!).

وقد قص الله عن كفار قريش بأنهم إذا كانوا في الفلك وهاج عليهم البحر دعوا الله مخلصين، وإذا نجاهم إلى البر أشركوا على عكس القصة السابقة.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: من جَوّزَ أن يطلب من المخلوق كما يطلب مـــن الخـــالق مـــن كشف الشدائد، فكفره شر من كفر عباد الأصنام فإنهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله، كما قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤٠-٤١]فبين سبحانه أنه إذا جـــاء عذاب الله أو أتت الساعة لا يطلبون إلا الله في كشف الشدائد، وجلب الفوائد، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧] قال: وقد وقع في كثير من ذلك ما وقع من العامة وغيرهم أ.هـــ.

بقـــي هنا حديث آخر غير حديث الأعمى يحتج به المغرزون للجهال على جـــواز دعـــاء الميت والغائب، وهو الوارد في أذكار السفر: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد يا عباد الله احبسوا فإن لله حاضراً سيحبسه**» [1].

فيجاب عنه: بأنه حديث ضعيف وذكر بعض العلماء: أنه حديث منكر. فإنه من رواية معروف بن حسان، وهو منكر الحديث كما قاله ابن عدي، ومع ذلـــك فهـــو لا يـــدل على دعاء الميت والغائب، لأنه قال فيه: إن لله حاضراً سيحبســـه، فالمنادى حاضر حي وكّله الله بهذا الأمر، وهو من عباده الذين لا نعـــلمهم ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] وكل عاقل يتيقن أنه ﷺ لا يأمـــر بمناداة من لا يسمع ولا يُعين من ناداه. فلا يعارض هذا الحديث الكتاب والسنة المانعَين من صرف الدعاء لغيره تعالى، ولا يعرف عن أحد من أهل العلم والإيمـــان الذيـــن لهم لسان صدق في الأمة، ولم تأت به شريعة من الشرائع بل المنقول عن جميع الأنبياء ما يرده ويبطله كما في الكتاب العزيز.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله[2]: « ومن أنواعه ــ أي الشرك ــ طلب الحوائـــج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميـــت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً عمن استغاث

---

(١) رواه أبو يعلي في مسنده (١٧٧/٩) و ابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم:٥١٠) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٧رقم:١٠٥١٨) وفيه معروف بن حسان منكر الحديث (الميزان١٤٣/٤) كما أشار إلى ذلك المؤلف رحمه الله، وفيه انقطاع؛ قاله الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (١٥٠/٥)،وفيه سعيد ابن أبي عروبة مختلط ومدلس؛ ومعروف بن حسان روى عنه بعد الاختلاط، بالإضافة إلى عنعنته، وأشار إلى تضعيفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢/١٠) وقال البوصيري: فيه معروف بن حسان، وهو ضعيف (كما في المطالب العالية٢٣٩/٣رقم٣٣٧٥) وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (رقم: ٦٥٥) وهذه مفاهيمنا للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص:٥٢)

(٢) مدارج السالكين (٣٤٥/١ ــ ٣٤٦)

بـــه، أو ســـأله أن يشـــفع لـــه إلى الله، وهـــذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده).أ.هـــ.

وقـــد أطلنا الكلام في هذا المقام لأن هذا الهندي وأضرابه يسمون ذلك توسلاً، وينصبون أنفسهم للدفاع عنه تمحلاً . عاملهم الله بعدله كما جنوا على التوحيد وأهله.أ.هـــ.

قـــال الهندي :(والثالث: روى الدارمي[1] عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت: فانظروا قبر النبي ﷺ فـــاجعلوا مـــنه كوى إلى السماء ، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلـــوا ، فمطـــروا ، حتى نبت العشب وسمن الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق).

أقـــول : نعم ذكره الدارمي في باب ما أكرم الله نبيه بعد موته . قال في مجمع البحار[2]: كُوى إلى السماء : أي منافذ، جمع كَـــوّة بفتح كاف وضمها، قيل: سببه أن السماء لما رأت قبره بكت وسال الوادي من بكائها، لقوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الدخان:٢٩] وقيل: استشفاع بقبره ﷺ أ.هـــ. فهذا من

(١) رواه الدارمي في سننه (باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته ـــ١/٤٣ ـــ ٤٤) وهو أثر ضعيف له عدة علل؛ انظر: صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان (ص:٢٤٥ ـــ ٢٤٦) والتوسل أنواعه وأحكامه (ص:١٢٤ ـــ ١٢٦) والتوصل إلى حقيقة التوسل؛ للشيخ نسيب الرفاعي رحمه الله(ص:٢٥٩) وهذه مفاهيمنا لصالح آل الشيخ (ص:٧٣ ـــ ٧٤) قال ابن تيمية (تلخيص الاستغاثة ١/٩٣): وأيضاً فحجرة عائشة كان منها ما هو مكشوف لا سقف له، كما روي عنها أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد، ولم تزل كذلك مدة حياة عائشة، فكيف يحتاج أن تفتح في سقفها كوة إلى السماء ؟.

(٢) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، للفتّني الهندي (٤/٤٥٧ ـــ ٤٥٨) مكتبة دار الإيمان ـــ المدينة،ط٣، ١٤١٥ هـــ.

مشـــكل الآثـــار المتشابهة التي لا يحتج بها[١]،فإن الاستسقاء المأثور جار بالمدينة المـــنورة من عهده ﷺ إلى هذا العهد، مع أن عائشة كانت في الحجرة ويُدخل إليها من الباب ، وبعد ذلك بني الحائط الآخر، و لم يذهب أحد من الصحابة إلى القـــبر النـــبوي يستسقي عنده ولا به، ولو كان لنقل واستفاض و لم نحتج إلى حديث واحد فيه ما فيه.

وقد روى خالد بن دينار عن أبي العالية، كما ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار، قال: حدثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجلٌ ميت عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية. فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءة مثل ما أقرأ القرآن.

قـــال خـــالد: فقلت لأبي العالية: ما كان فيه، قال: سيرتكم وأموركم، ولحـــون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وساوينا[٢]القبور كلها مع الأرض لنعمـــيه[٣] عن الناس، لا ينبشونه، فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت الســـماء إذا حبســـت عنهم أبرزوا السرير فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الـــرجل؟ قال: رجل يقال له:(دانيال) فقلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال:

---

(١) إذا ثبت فليس فيه إشكال إذ ليس فيه سؤال بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا استشفاع به ، وانظر ما سيأتي من كلام أهل العلم .

(٢) في الأصل : ساوينا

(٣) في الأصل : لتعميه.

منذ ثلاثمائة سنة، قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلاّ شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع[1].

فلو كان الاستسقاء بقبور الأنبياء ثم بمن يليهم جائزاً أو فضيلة لنصب عليه عَلَماً أولئك المهاجرون والأنصار، ولم يُعَمُّوا قبره لئلا يفتتن الناس به، لما علموا من استسقائهم به، ولكنهم كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلائف التي خلفت بعدهم.

فما زالت الصحابة تسد الذرائع كما في هذه القصة، وكما فعل عمر رضي الله عنه، من قطع الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ[2]. وكذلك التابعون لهم بإحسان درجوا على سبيلهم، فقد كان عندهم من قبور الصحابة عدد كثير في الأمصار، فما منهم من استغاث بها، ولا دعا عندها، ولا استسقى بها، ولا استنصر، ولو كان لتوفرت الدواعي على نقله.

وبعد كتابتي لما تقدم رأيت في تتمة منهاج التأسيس للعلامة محمود شكري الآلوسي ما نصه[3]: بعد ذكر عائشة رضي الله عنها.

والجواب أن يقال: لا دليل في هذه الحكاية على ما قصده العراقي من جواز نداء غير الله تعالى، لأنه لا نداء فيها، بل فيها[4] أن الله رحم أهل الأرض لما كَشَفَتْ عن مرقده ﷺ بحيث يصله القطر من المطر، كما أن من خواص

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٤٠): وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية.

(٢) روى ذلك ابن سعد في طبقاته (٢/١٠٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٣٧٥ الهندية) وابن وضاح في البدع (ص:٩١ رقم:١٠٥) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٧/٤٤٨).

(٣) فتح المنان في الرد على صلح الإخوان وهو تتمة منهاج التأسيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس للعلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.

(٤) في الأصل : فيهم.

أجسام الأنبياء جميعاً إذا كشفت نزول المطر عليها ولا يقتضي مثل ذلك نداءهم ودعاءهم في الشدائد.

وكذلك من خواصها عدم أكل الأرض إياها ولا يقتضي أيضاً دعاءها. ولو جاز استسقاؤه ﷺ في هذه الحالة لما عدل عمر إلى العباس ـ كما سبق قريباً ـ هذا كله لو سلمنا صحة مثل هذه الحكاية، وإذا لم تصح فالمنع أظهر والجواب أحق أ.هـ.

ثم رأيت في اقتضاء الصراط المستقيم ما نصه [1]: « وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهتهم نوائب غير ذلك، فهلا جاءوا فاستسقوا أو استغاثوا عند قبر النبي ﷺ. بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به، ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ.

بل قد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كشفت عن قبر النبي ﷺ، ليترل المطر فإنه رحمة تترل على قبره، ولم تستسق عنده، ولا استغاثت هناك، وهذا لما بنيت حجرته على عهد التابعين ـ بأبي هو وأمي ﷺ ـ تركوا في أعلاها كوة إلى السماء وهي إلى الآن باقية فيها، موضوع عليها شمع على أطرافه حجارة تمسكه، وكان السقف بارزاً إلى السماء. وبني كذلك [2] لما احترق المسجد والمنبر سنة بضع وخمسين وستمائة. وظهرت النار بأرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى. وجرت بعدها فتنة الترك ببغداد وغيرها، ثم عُمِّر المسجد والسقف كما كان، وأحدث حول الحجرة الحائط الخشب، ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القبة [3] على السقف وأنكره من كرهه.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/٦٨٤ـ٦٨٦).

(٢) في الأصل: ذلك، والتصويب من الاقتضاء.

(٣) في الأصل: العتبة، والتصويب من الاقتضاء.

على أنا قد روينا في مغازي محمد بن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار ثم ساق القصة السابقة فتأمل.

قال المراغي(١): وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة، يفتحون كوة في أسفل الحجرة وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف والسماء. قال السمهودي (٢):وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف أ.هـ. أي والكوة مسدودة.

قال الهندي: (والرابع روى البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ فقال: **ائت عمر فأقرئه السلام فأخبره فإنهم يسقون وقل عليك الكيس الكيس** فأتى الرجلُ عمرَ رضي الله عنه فأخبره فبكى عمر، وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه)(٣).

---

(١) في كتابه: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (ص:١١٥) والمراغي هو: زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي؛ ت:٨١٦هـ.

(٢) هو الشيخ علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الملقب بنور الدين المعروف بالسمهودي ولد سنة ٨٨٤هـ بسمهود ونشأ بها فطلب العلم فيها وفي القاهرة ثم حج وجاور، وصنف في تاريخ المدينة توفي سنة ٩١٢هـ تقريباً. انظر: البدر الطالع (٤٧١/١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣١/١٢ـ ٣٢ الهندية) والبيهقي في دلائل النبوة (٤٧/٧ قلعجي)، والخليلي في الإرشاد (٣١٣/١ـ ٣١٤رقم:١٥٣) عن محمد بن خازم عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك خازن عمر. ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٤/٧ـ ٣٠٥) مقتصراً على قول عمر فقط؛ من طريق محمد بن خازم عن أبي صالح به. من غير ذكر الأعمش. فلا أدري أسقط من المطبوع أم هكذا روايته!!.وهذا الخبر فيه عدة علل، منها علل في الإسناد، وعلل في المتن.

١ـ أن فيه الأعمش مدلس وقد عنعن، (عند من أثبته في الاسناد) ولا يرد علينا أن عنعنة الأعمش عن أبي صالح محمولة على السماع لأنه من كبار شيوخه ـ فإن هذا في الغالب=

=الأعم وليس في كل حديث، وخصوصاً أن في المتن ما ينكر ــ كما سيأتي إن شاء الله ــ فعنعنته هنا على بابها والله أعلم .

٢ ــ أن هناك إرسالاً بين أبي صالح ومالك الدار ــ كما نص على ذلك الخليلي رحمه الله حيث قال بعد رواية الحديث: "يقال: إن أباصالح سمع مالك الدار هذا الحديث، والباقون أرسلوه".فانظر إلى قوله: (يقال) إذ هي من صيغ التضعيف، وإلى قوله: (الباقون أرسلوه) مما يدل على أن ادعاء الاتصال مخالفة لجمهور الرواة وهو شذوذ، والشاذ والمنقطع أو المرسل من أنواع الضعيف، ولا يؤخذ به في الأحكام فكيف في العقائد؟

٣ ــ أن الرجل الذي طلب من القبر مجهول لايعرف، وليس هو بلال بن الحارث، والذي سماه بلالاً هو سيف في الفتوح (كما في تاريخ الطبري ٤/٩٨ــ ٩٩ وكما في البداية والنهاية ٧ /٩١ والفتح ٢/٥٧٥ ــ ٥٧٦) وليس في خبره أنه ذهب للقبر.

٤ ــ أن المشهور عن عمر الثابت في الصحيح ليس فيه هذه القصة.

٥ ــ أنها لوكانت معروفة لما خفيت على أنس بن مالك وغيره الذين رووا حديث الاستسقاء.

٦ ــ أنها لو كانت ثابتة لما عدل عنها من أخرج حديث الاستسقاء.

٧ ــ هذه القصة تخالف ما هو المشهور عنه رضي الله عنه، وقد رويت قصة الاستسقاء من وجوه عدة، ليس فيها قصة مالك هذه فمن أهمها: ما أخرجه البخاري وغيره من طريق ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس، وأخرجها عبد الرزاق عن ابن عباس (٣/٩٢ رقم ٤٩١٣) وأخرجها ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل١/١٩٢) من طريق الزهري، وأخرجها ابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة (٤/٤١رقم: ٤٣ــ موسوعة ابن أبي الدنيا) عن خوات بن جبير ، وأخرجه عبد الرزاق (٣/٨٧) وابن أبي الدنيا في المطر (رقم:٨٤) وغيرهما عن الشعبي، وهناك مخارج أخرى وقفت عليها بلغت حوالي عشرة مخارج ليس في شيء منها قصة القبر والذهاب إليه فدل هذا على مخالفة كبيرة تبين ضعف هذه القصة والله أعلم.

٨ ــ أن سبب الاستسقاء روي له عدة أسباب غير ذهاب الرجل إلى القبر .

أ ــ ما ذكره ابن عبد البر في الا ستيعاب (٦/ ١٠):" فقال كعب يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء فقال عمر: هذا عم رسول الله ﷺ وصنو أبيه..."

ب ــ ما ذكره سيف بن عمر في الفتوح ــ كما سيأتي إن شاء الله ــ

جـ ــ ما أخرجه عمر بن شبه في تاريخ المدينة (٢/ ٣١٠ ــ الدويش) أن أبا موسى كتب لعمر بعدما طلب عمر منه المعونة :" يا أمير المؤمنين إن الخلق لا يسعهم إلا الخالق،فلو=

أقول في هذه الرؤيا المنامية حجة على هذا الرجل وأمثاله فإنه ﷺ لم يقل أنا أستسقي لكم بل أمر عمر أن يستسقي بالناس.

لكن قال بعضهم: إن الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث فأتى به بعض المدلسين في الحديث بدل رجل ناسباً له إلى البيهقي وابن أبي شيبة[1].

=أنك كتبت في الأمصار وواعدتهم يوماً فخرجوا واستسقوا ودعوا، فلما أتاه كتابه قال: والله ما أرى أبا موسى إلا قد أشار برأي، فكتب فخرج الناس فاستسقوا فسقوا.

د ـ ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٣/٣ رقم:٤٩١٤) عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال:" أصاب الناس سنة وكان رجل في بادية فخرج فصلى بأصحابه ركعتين، واستسقى ثم نام، فرأى في المنام أن رسول الله ﷺ أتاه وقال: أقريء عمر السلام، وأخبره أن الله قد استجاب لكم، وكان عمر قد خرج واستسقى أيضاً.."

فهذه أربعة أسباب دعت عمر للاستسقاء تخالف ما روي من ذهاب الرجل للقبر.

وأخيراً : أن في القصة دليلاً على المخالف كما ذكر المصنف هنا، وهو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يذهب إلى القبر ويطلب منه ولو كان مشروعاً لذهب، بل استسقى ربه ودعا، وفعل عمر هو الحجة الشرعية الدامغة إذ لو كان مشروعاً الذهاب إلى قبر النبي ﷺ والاستسقاء عنده ـ لَمْ يترك الناس يهلكون جوعاً ولا يذهب إليه، بل طلب من العباس أن يدعوَ الله لهم.

هذا وقد ألمح ابن تيمية إلى تضعيف الحديث بقوله: يروى (٧٣٥/٢) الاقتضاء. وانظر الكلام حول هذا الحديث التوسل أنواعه وأحكامه (ص:٣٠) وهذه مفاهيمنا (ص:٦٠).

(١) وقع تسمية بلال بن الحارث عند سيف بن عمر في الفتوح (كما روى ذلك ابن جرير في تاريخه ٨٩/٤ـ ٩٩ وكما في البداية والنهاية ٩١/٧) فروى روايتين لقصة الاستسقاء:

فأما الرواية الأولى: فليس فيها إلا ذكر الرؤيا المنامية فقط، وليس فيها أنه ذهب للقبر.

وأما الرواية الثانية: فليس فيها أنه ذهب إلى القبر أيضاً، ولكن فيها (أن رجلاً من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء، فألحوا عليه فذبح شاة، فإذا عظامها حمر، فقال: يامحمداه. فلما أمسى رأى في المنام...) وفي هذا الخبر ضعف قوي:

أ ـ أن سيف بن عمر : متروك وحاله مشهور بالضعف الشديد (الميزان٢/٢٥٥ـ ٢٥٦)

ب ـ وفيه شيخه: مبشر بن الفضيل؛ قال الذهبي:" شيخ لسيف لا يدرى من هو. (الميزان ٣/ ٤٣٤). =

ثم قال[1] :وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي ﷺ فإن رؤياه وإن كانت حقاً؛ لكن لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي، وإنما الاستدلال بفعل بلال بن الحارث في اليقظة فإنه من أصحاب النبي ﷺ فإتيانه لقبر النبي ﷺ ونداؤه له وطلبه أن يستسقي لأمته دليل على أن ذلك جائز.

فيالله العجب!! كيف انفرد هذا الصحابي بعمله هذا عن سائر الصحابة؟ ولِمَ لَمْ يتواردوا على قبره ﷺ ويلتجئوا إليه في جميع ما نزل بهم من المصائب؟ فعلى هذا البعض إثبات نسبة[2] ذلك إلى بلال بن الحارث بالسند الصحيح ولئن صح فلنا فيه كلام.

أما ما روي عن البيهقي وابن أبي شيبة فهو فعل رجل مجهول، كما ذكره الهندي وغيره لا يعرف اسمه فضلاً عن حاله، والمدينة في ذلك الزمان يَردها أهل الآفاق من العرب والعجم والحاضرة والبادية، وفعله مخالف لما عليه الصحابة رضي الله عنهم. ولو كان هنا غير هذا الرجل المجهول لأورده هذا وأمثاله ممن كلفوا أنفسهم الانتصار للقبوريين.

=قال الشيخ العلامة محمد بشير السهسواني (صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان ص:٣٩٠) حينما استدل دحلان بحادثة ذبح الشاة، وقوله: وامحمداه، وصححها:

" أقول: الكلام فيه من وجهين:

الأول: أن دعوى صحة هذا الأثر مفتقرة إلى إقامة الحجة عليها، ودونها لايلتفت إليها.

الثاني: أن هذا ليس نداء بل ندبة، كما تقرر في مقره، من أن (وا) إنما تدخل على المندوب لا على المنادى، فإن قلت: المندوب عند البعض داخل في المنادى، فالجواب: أن من يدخله في المنادى فإنما يدخله في المنادى الحكمي لا الحقيقي، فلم يكن مما نحن فيه في شيء" إ.هـ. قلت: قوله : المنادى الحكمي ، أي في الحكم الإعرابي، و الله أعلم. وقدتقدم بفضل الله ضعف هذه القصة وما فيها من ضعف وجهالة.

(١) أي الهندي.

(٢) في الأصل: شبه، والصواب ما أثبت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] : وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: ادعُ لنا ولا إسأل لنا ربك، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة ولا ورد فيه حديث بل الذي ثبت في الصحيح أنهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس، وقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون، ولم يجيئوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين: يا رسول الله ادع لنا ! واستسق لنا ! ونحن نشتكي إليك مما أصابنا ! ونحو ذلك، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان أ.هـ.

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم في بحث شبه المجوزين قصد القبور للدعاء عندها من بعض المتأخرين بعد المائة الثانية ما نصه[٢] : فهذه الآثار إذا ضمت ما قدمناه[٣] من الآثار، علم كيف كان حال السلف في هذا الباب، وأن ما عليه كثير من الخلف في ذلك من المنكرات عندهم.

ولا يدخل في هذا الباب، ما يروى [من] أنّ قوماً سمعوا ردَّ السلام من قبر النبي ﷺ، أو قبور غيره من الصالحين، وأنّ سعيد بن المسيِّب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرّة ونحو ذلك، فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم.

وكذلك أيضاً ما يروى: «أنّ رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ، فشكا إليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي

---

(١) انظر نحوه: التوسل والوسيلة (ص:٢٤ــ ٢٧)

(٢) الاقتضاء (٧٣٥/٢) وما بين معقوفات منه.

(٣) في الاقتضاء : قدمنا.

بالناس»[1].فإن هذا ليس من هذا الباب، ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ، وأعرف من هذا وقائع.

وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ أو لغيره من أمته حاجته فتقضى له، فإن هذا قد وقع كثيراً وليس [هو] مما نحن فيه.

وعليك أن تعلم أن إجابة النبي ﷺ أو غيره[2] لهؤلاء السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال، فإنه هو القائل ﷺ:« **إن أحدكم ليسألني المسألة وأعطيه[3] إياها فيخرج بها يتأبطها ناراً** » ، فقالوا: يا رسول الله! فلم تعطيهم[4] ؟ قال:« **يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل** » [5] . وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم، كما أن السائلين له[6] في الحياة كانوا كذلك، وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة. فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر، أما أنه يدل على حسن حال السائل فلا؛ فرق بين هذا وهذا .إنتهى.

قال الهندي: (روى الحافظ أبو سعد السمعاني عن علي رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي ﷺ بعد وفاته بثلاثة أيام، فبكى بكاء شديداً حتى خرّ

---

(١) تقدم ما يشبهه من قصة مالك الدار .

(٢) في الأصل : أو لغيره . والتصويب من الاقتضاء.

(٣) في الاقتضاء : فأعطيه.

(٤) في الأصل : تعطهم ، والتصويب من الاقتضاء (٢/ ٧٣٦)

(٥) رواه أحمد (٣/٤، ١٦) وابن جرير في تهذيب الآثار (قسم ١ من مسند عمر ص : ١٠ رقم: ١٧٦١و١٧٦٢) وصححه، والحاكم (١/١٠٩ رقم:١٤٤،١٤٣ ـــ تحقيق عطا) وغيرهم بنحوه عن أبي سعيد الخدري، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأقرّه الذهبي.

(٦) في الاقتضاء : به .

ثم أخذ تربة من قبر النبي ﷺ فجعله على رأسه ، وقال يا رسول الله ! أطعنا ما بلغتنا من كلام الله وحفظناه وفيه ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي؛ فنودي من القبر أنه قد غفر لك).

أقول: كان ينبغي عليه أن يجعل هذا دليلاً خامساً مستقلاً ، فأخطأ في درجة الدليل الرابع مع ما فيه من تحريف الرواية عما نقله بعضهم ؛ وقد قال الحافظ ابن عبد الهادي[1]: (إن هذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع، لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض).ثم تكلم على بعض رجاله ثم قرر معنى الآية أحسن تقرير — كما سيأتي —.

وهذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتبي بلا إسناد بزيادة بيتين، ويرويها بعضهم عن غيره بألفاظ مختلفة .

قال الحافظ المذكور [2] : وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة [عن الأعرابي] مما تقوم بها حجة[3] ، وإسنادها مظلم مختلق، ولفظها مختلف أيضاً .ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على المطلوب، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم.أ.هـ.

قال في اقتضاء الصراط المستقيم [4] بعد ذكر حكاية العتبي واستحباب طائفة من متأخري الفقهاء مثل ذلك ما نصه: (واحتجوا بهذه الحكاية التي لا

---

(١) الصارم المنكي (ص: ٤٣٠)

(٢) الصارم المنكي (ص: ٣٣٨) وما بين معقوفات منه.

(٣) في الصارم: مما يقوم به حجة.

(٤) الاقتضاء (٧٦٧/٢ — ٧٦٨) وكل ما بين معقوفات فهو منه.

يثبت بها حكم شرعي، لاسيما في مثل هذا الأمر،[الذي لو كان مشروعاً مندوباً لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم] بل قضاء الله تعالى حاجة مثل هذا الأعرابي [وأمثاله] لها أسباب قد بُسِطت في محلها [١].

وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون [السبب] مشروعاً مأموراً به، فقد كان [رسول الله] عليه الصلاة والسلام يُسأل في حياته المسألة فيعطيها [لا يرد سائلاً] وتكون محرمة في حق السائل، حتى قال:« **إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها ناراً** » قالوا: يا رسول الله! فلم تعطيهم ؟ قال:« **يأبون إلاّ أن يسألوني، ويأبى الله تعالى لي البخل**» [٢] . وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحاً ، ولا يكون عالماً أنه منهي عنه فيثاب على حسن قصده، ويعفى عنه لعدم علمه . وهذا باب واسع ،وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل [له] بها نوع من الفائدة، وذلك لا يدل على أنها مشروعة، لو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نهي عنها، ثم الفاعل قد يكون متأولاً أو مخطئاً مجتهداً أو مقلداً؛ فيغفر له خطؤه ويثاب على ما يفعله[٣] من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطيء، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع ».أ.هـ.

وأما الآية الشريفة ؛ فقال الحافظ ابن عبد الهادي [٤] : لم يفهم أحد من السلف ولا الخلف إلاّ المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم ، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه ، وأخبر أنه من المنافقين ، فقال تعالى:

---

(١) في الاقتضاء: في غير هذا الموضع.

(٢) تقدم تخريجه قريباً

(٣) في الاقتضاء : فعله.

(٤) الصارم المنكي (ص:٤٢٥ وما بعدها).وما بين معقوفات منه.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ ﴾ [المنافقون:٥] وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم ، ثم لم يجيء إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له، فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة، وتنصل من الذنب. وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متى ما صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه، فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي.

وكان هذا فرقاً بينهم وبين المنافقين، فلما استأثر الله عز وجل بنبيه[1] ﷺ ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته، لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن يقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت، أَفَتُرى عَطَّل الصحابةُ والتابعون[2] ـــ وهم خير القرون على الإطلاق ـــ هذا الواجبَ الذي ذم الله سبحانه وتعالى من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفّق له من لا توبة له من الناس، ولا يُعَدُّ في أهل العلم؟! وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام وهداة الأنام من أهل الحديث، والفقه والتفسير، ومن لهم لسان صدق في الأمة؟ فلم يَدْعُوا إليه ولم يحضُّوا عليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم ألبتة. بل المنقول الثابت عنهم[3] ما قد عرف، مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك. الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية، ولما كان هذا

---

(١) في الأصل: نبيه، وهو موافق لنسخة من الصارم، والتصويب من المطبوع.

(٢) في الأصل:وافترى على الصحابة والتابعين؛ وهولا يناسب سياق الكلام بعده والتصحيح من الصارم.

(٣) في الصارم (ص:٤٢٦): عنه.

المنقول شجىً في حلوق البغاة وقذىً في عيونهم، وريبة[١] في قلوبهم؛ قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل، ومن استحى منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل، ويأبى الله إلا أن يُعليَ منار الحق ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد، وتقوم الحجة على المعاند، فيعلي الله بالحق من يشاء ويضع بردّه وبطره وغمط[٢] أهله من يشاء، ويالَلّه العجب! كان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها حي بين أظهرها موجود، وقد دعيت فيه إلى المجيء إليه ليستغفر لها، وذم من تخلف عن هذا المجيء، فلما توفي ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء إليه ليستغفر له.

وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً، ولو كان حقاً لسبقونا إليه علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحةً، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة[٣] لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه؟ وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده وإنما ننبه عليه بعض التنبيه.

ومما يدل على بطلان تأويله قطعاً، أنه لا يَشُكُّ مسلم أن من دعي إلى رسول الله ﷺ في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته عليه كان مذموماً غاية الذم، مغموصاً بالنفاق. ولا كذلك من دعي إلى

---

(١) في الصارم: ريبة، بلا واو.

(٢) في الصارم: غمص.

(٣) في الصارم (ص:٤٢٧): أو في سنة.

قبره ليستغفر له ومن [سوّى][1] بين الأمرين وبين المدعوين وبين الدعوتين، فقد جاهر بالباطل وقال على الله ورسوله وأمناء دينه غير الحق .

وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدرها بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ ﴾ [النساء:٦٤] وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفروا[2] إذ ظلموا أنفسهم طاعةً له ، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم: إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة ، وهذا بخلاف قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [النساء:٦٥] فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه ، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً، ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي، وبعد وفاته نوّابه وخلفاؤه .

يوضح ذلك أنه قال :« **لا تجعلوا قبري عيداً** »[3] ولو كان يشرع لكل مذنب أن يأتي[إلى] قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين، وهذه[4] مضادة صريحة لدينه وما جاء به .أهـ.

---

(١) من الصارم المنكي (ص:٤٢٧) وجاء في حاشية الأصل: لعله سقط من هنا كلمة (ساوى) أو كلام بمعناها.

(٢) في الصارم: ليستغفر لهم إذ ..

(٣) رواه أحمد (٢/٣٦٧) وأبو داود (المناسك ـ باب زيارة القبور ـ ٢/٥٣٤ رقم: ٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة، وصححه النووي في الأذكار (١/ ٣٢٢ رقم: ٣٣٤) وحسنه الألباني في تحذير الساجد (ص:١٤٢) وروي بلفظ: "لا تتخذوا قبري عيداً" عن علي بن أبي طالب ، وروي مرسلاً عن الحسن بن الحسن بن علي. انظر تحذير الساجد(ص: ١٤٠ ـ ١٤١).

(٤) في الصارم :وهذا.

ثم قال: وأما قول المعترض ـــ : وأما الآية وإن وردت في أقوام معينين في حـــال الحياة فإنها تعم بعموم العلة ـــ؛ فَحَقٌّ فإنها تعم ما وردت فيه، وما كان مـــثله، فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه وجاءه كذلك. وأما دلالتها على المجيء إليه في قبره [بعد موته] فقد عرف بطلانها (١).

وقوله: وكذلك فَهِم العلماء من الآية العموم في الحالتين .

فـــيقال لـــه: من فَهِم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام ؟ فاذكر لنا عن رجـــل واحـــد من الصحابة والتابعين أو تابعي التابعين أو الأئمة الأربعة ، أو غيرهم من الأئمة ، وأهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته، أو عمل به أو أرشد إليه ، فدعواك على العلماء ـــ بطريق العموم ـــ هذا الفهم دعوى[باطلة] ظاهرة البطلان .

وأمـــا حكايـــة العـــتبي التي أشار إليها فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثـــين، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي، وقد رويت عن غيره بإسناد مظلم ـــ كما بينا ذلك فيما تقدم ـــ وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شـــرعي، لاســـيما في مـــثل هذا الأمر الذي لو كان [مشروعاً] مندوباً لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم، وبالله التوفيق.أ.هـــ.

فـــإن قـــيل: ورد عنه ﷺ : « **حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم ، ما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شرّ استغفرت لكم** » (٢)

---

(١) في الصارم : بطلانه.

(٢) رواه البزار (مجمع الزوائد ٦/٢٤) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح أ.هـــ. وفيه: عبد المجيد بن عبد العزيز متكلم فيه، وروي مرسلاً بإسناد صحيح إلى من أرسل، وهو بكر بن عبد الله المزني: رواه ابن سعد (٢/١٩٤) وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٥و ٢٦) من طريقين .وضعف الحديث الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٩٧٥)، وأوله : إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام .وهذا الشطر صحيح روي بأسانيد أخرى صحيحة.

فــالجواب : أن حال الوفاة لا تقاس على حال الحياة ، وأنه لا يعلم حال الــبرزخ إلاّ الله، ولا نزيد على ما شرع لنا، ولم يُشرع لنا طلب الاستغفار منه بعــد وفاتــه ، ولو كان مشروعاً لبادر إليه الصحابة والتابعون وتابعوهم ، ولم ينقل عنهم من ذلك حرف واحد، ومن لا يسعه ما وسعهم فلا وسع الله عليه.

قــال الهندي: (والدليل الخامس: قال الإمام القسطلاّني في كتابه المواهب اللدنــية: إن التوســل بحضور النبي ﷺ بعد الوفاة في عالم البرزخ ثابت بطرق كــثيرة. ثم الإمــام الممدوح يكتب قصة ويقول: كان لي داء عجز عنه الأطباء الحــاذقون، كم سنين مضيت على هذا؟ قال: أقمت به سنين فاستغثت به ﷺ لــيلة الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاثة وتسعين وثمانمائة بمكة زادهــا شرفاً، ومنّ علي بالعود إليها في عاقبة بلا محنة ، فبينما أنا نائم إذا رجل معــه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعــد الإذن مــن النبي ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده شيئاً ببركة النبي ﷺ ».

أقول: نص عبارة المواهب اللدنية[١] هكذا: وأما التوسل به ﷺ بعد موته في الــبرزخ فهــو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب مصباح الظــلام في المســتغيثين بخير الأنام (في اليقظة والمنام) للشيخ أبي عبد الله [بن] النعمان[٢]، طرف من ذلك ولقد كان حصل لي، ثم ذكر قصته السابقة وغيرها،

---

(١) المواهب اللدنية (٤/٥٩٤ ــ ٥٩٥) المكتب الإسلامي، تحقيق:صالح الشامي. وما بين معقوفتين منه، ومابين قوسين غير موجود في المواهب، لا في طبعة المكتب الإسلامي ولا في طبعة دار المعرفة مع الشرح (٨/٣١٨).

(٢) محمد بن موسى بن النعمان المراكشي الهنتاني التلمساني الفاسي المالكي. ت٦٨٣هــ. كشف الظنون (٢/١٧٠٦)

فانظـــر كيف حرّف عبارة القسطلاني حتى في المعنى وهل في ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع؟!

هـــذا مما يحقق أن هذا الرجل من أجهل القصاصين، وقد ذكر في كشف الظنون[1] حكاية عن القسطلاني تدل على تدليسه في النقل.

أما قول القسطلاني فهو محل النـــزاع، وأما ما وقع له من الشفاء في المنام، وكذا لغيره فلا يصلح للاستدلال، فضلاً عن أن يكون دليلاً قطعياً، فليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون مشروعاً مأموراً به كما تقدم بيانه.

وهـــنا نكتة طبية: وهي أن الوهم أكبر عامل في الإنسان، وهو عند ظنه بنفسه فمتى تخيل المريض أن شفاءه يكون في الشيء الفلاني، انصرفت نفسه إليه وانفتحت مسامه لتلقيه بأدنى مناسبة، وانبعث دمه في جسمه لذلك، وربما كان الوهـــم قاضياً على الصحيح كما هو مشاهد في أيام الوباء، ثم اعلم أنّ كل من تعلـــق قلبه بشيء وشغف به أكثر من ذكره، وشَخَّصَه في جميع أحواله ورآه في منامه، على حسب استعداد خياله فينسج الحلم له أشياء عجيبة، كما نرى ممن يغالي في شيخه أو وليه ومعتقده من أهل كل ملة، ينسب إليه كل ما حصل له مـــن خـــير أصابه أو فُرِّجَ من كَرْب نابه، ويجعل كل ما صادفه من النجاح في أموره كرامة لمن يعتقده، ويذكر له المرائي الطويلة العريضة دون غيره. كما أنّ الطالـــب المشـــغوف بكـــتابه والبحث فيه، لا يرى في نومه إلا تصفحَ أوراقه والجدال مع رفقائِه، وربما انحلّ له الإشكال في منامه.

---

(١) كشف الظنون (١٨٩٧/٢) ومفاد هذه الحكاية أنه كان يستفيد من كتب السيوطي ولا يعزو إليه، فاشتكى عليه السيوطي.

قال الرئيس ابن سينا في ترجمته عن نفسه: ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها، حتى إنّ كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهُها في المنام أ.هـ. وذلك أنّ النائم إنما يحلم بالأمور التي مرت عليه يقظةً، أو قامت خيالاتها في ذهنه أو خطرت بفكره، أو الأمور التي اعتاد الخوف منها أو الفرح بها، فالأحلام مرآة أفكار الإنسان وصور تأثّرات عقله وربما دلت على اعتدال مزاجه أو اعتلاله.

ولسنا ننكر الرؤيا الصالحة، ولكنا نقول لا ينبني عليها حكم شرعي لأنها قد تشتبه على الرائي، أو تكون من تحزين الشيطان، أو مما يحدث به الرجل نفسه كما في الحديث[1] .

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب الفرقان شيئاً كثيراً من الأحوال الشيطانية مما يعترف به أرباب الدين، قال رحمه الله تعالى[2]:ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواءً كان ذلك الحي مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو هو مَلَك على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل الأصنام وتكلم المشركين.

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له:أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى، وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب. ثم ذكر أموراً غريبة.

---

(١) وروى مسلم (الرؤيا ــ ١٧٧٣/٤رقم:٢٢٦٣) وغيره:" والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة؛ بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه... "

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٨٧/١١ مجموع الفتاوى).

وقــد ذكــر الحكــيم البيروني[١] في تاريخ الهند ما نصه: وتوجد رسالة لأرســطوطاليس في الجــواب عــن المسائل للبراهمة أنفذها إليه الإسكندر: أما قولكــم: إن من اليونانيين من ذكر أن الأصنام تنطق وأهم يقربون لها القرابين ويدعــون فيها الروحانية فلا علم لنا بشيء منه، ولا يجوز أن نقضي على ما لا عــلم لــنا بــه، فإنــه ترفع عن رتبة الأغبياء والعوام، وإظهار أنه لا يشتغل بذلك أ.هـ.

وإنما استرسل القلم في ذلك لاسترسال الناس في هذا الباب، حتى أنه كل يوم يبدو لنا فيه كتاب، وأظن أن أول من ألف في ذلك صاحب مصباح الظلام ذكر في خطبته أنه لما رأى كثيراً من العلماء ألفوا كتباً كثيرة فيمن استغاث بالله وحصل له الفرج بعد الشدة قصد أن يذكر ما وقع ممن استغاث بالنبي ﷺ ولاذ به لما قفل مع الحاج سنة ٦٣٩ والله أعلم[٢].

قال الهندي:(السادس قد ثبت في كتب الأحاديث بسند صحيح أن في زمن ســيدنا عمر رضي الله عنه لما قحط الناس و لم يمطروا، كان عمر رضي الله عنه بحضــور الصــحابة كلهم يتوسل بالعباس عم النبي ﷺ [٣] يدعو الله بالألفاظ المــندرجة في الذيــل الــلهم اسقنا بعم نبيك فيقول الراوي فيسقون[٤] حتى لم يدخلوا في المدينة.

(١) في الأصل: البيورني.
(٢) انظر كشف الظنون (١٧٠٦/٢)
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) في الأصل: فيسقو، وهذه العبارة غير واضحة، ولعل المقصود: فيسقون قبل أن يدخلوا المدينة ويرجعوا إليها، والله أعلم.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغ منــزلاً قال النبي ﷺ في فضله:« **أنطق الله الحق[1] على لسان عمر[2]**» .

أقــول: نعم أنطق الله الحق على لسان عمر حتى في هذه المسألة فحصل به فصل الخطاب عند أولي الألباب[3] فلو كان التوسل به ﷺ بعد انتقاله من هذه الــدار جائــزاً، لما عدل عنه الفاروق إلى التوسل بعمه العباس بحضور الصحابة رضي الله عنهم، وهم في أمرٍ مُهِمّ، فعدولُهم هذا دليلٌ واضحٌ على أن المشروع ما سَلَكُوه. فما أحسن الحجة إذا برزت من فم الخصم، فيكون حاكماً بها على نفسه.

فإن قال: هذا الحديث يدل على التوسل بالذات.

قلــنا: نعم لكن مع الدعاء في الاستسقاء، كما كان في حياته ﷺ يتوسل أصــحابه بدعائــه وشفاعته لهم فيدعو ويدعون معه، ويؤمنون على دعائه، ثم

---

(١) في الأصل: عن على لسان.

(٢) رواه أحمد (١٤٥/٥) وأبو داود (الخراج والإمارة والفيء ــ باب في تدوين العطاء ــ ٣٦٥/٣) وابن ماجه (المقدمة ــ باب فضل عمر بن الخطاب ــ ٤٠/١ رقم:١٠٨) و الحاكم (٩٣/٣ رقم:٤٥٠١)، وقال:على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة.وقال الذهبي على شرط مسلم أ.هــ. من حديث أبي ذر، ورواه أحمد (٥٣،٩٥/٢، وعند الأرناؤوط:١٤٤/٩، ٥٠٨) والترمذي (المناقب ــ باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ ٥٧٦/٥ رقم:٣٦٨٢) وابن عبد البر في التمهيد(١٠٩/٨ ــ ١١٠) وغيرهم من حديث ابن عمر، ولفظ الترمذي: ((إن الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه))؛ قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .أ.هــ.وروي من حديث أبي هريرة ، وبلال، ومعاوية. صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ١٧٣٦) وروي مرسلاً عن عمر بن عبد العزيز عند أبي داود (٣٦٥/٣) وروي عن أيوب بن موسى مرسلاً عند ابن سعد؛ ومن طريقه ابن الأثير في أسد الغابة (١٥١/٤) بزيادة: وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل. وانظر ضعيف الجامع (رقم:١٥٨٦).

(٣) في الأصل: عند ألا ألباب، وجاءت (ولي) بعد كلمة التوسل.

استســقوا [١] من بعده بعمه العباس، كما روى البخاري[٢] عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: « الـــلهم إنـــا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاســقنا » فيسقون . وقد بين الزبير بن بكار صفة ما دعا به العباس، فأخرج بإســناده أن العـــباس لما استسقى به عمر قال: « اللهم إنه لا ينـــزل بلاء إلاّ بذنب، ولم يكشف إلاّ بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكانتي من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث »؛ فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس. كما في الفتح[٣].

ولهـــذا قال الفقهاء : يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين، لأنهم أقرب إلى الإجابة، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبي ﷺ [٤]، وقد توسل معاوية لما قحط أهل الشام بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي التابعي الشهير لما اعتقد فيه الصلاح وقبول الدعوة ، قال : اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا يزيد بن الأسود؛ يا يزيد إرفع يديك إلى الله ! فرفع يديه ودعا ودعوا فَسُقُوا [٥] . وما زالت هذه

---

(١) في الأصل: استقسوا.

(٢) البخاري (الإستسقاء ــ باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا ــ ٢/٥٧٤ رقم:١٠١٠) و(فضائل الصحابة ــ باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ــ ٧/٩٦ رقم:٣٧١٠).

(٣) فتح الباري (٢/٥٧٧)، وانظر ترجمة العباس في الإستيعاب (٦/٣).

(٤) قال النووي في المجموع (٥/٦٧): ((ويستسقى بالخيار من أقرباء رسول الله ﷺ ...))، وقال ابن تيمية (التوسل والوسيلة ص:١١٩ــ ١٢٠): ((قالوا: وإن كان من أقارب رسول الله ﷺ ، فهو أفضل، اقتداء بعمر)).

(٥) روى ذلك ابن سعد في الطبقات (٧/٤٤٤) وقال: أخبرت عن أبي اليمان، ورواه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (١/ ٦٠٢ ، رقم ١٧٠٣، ١٧٠٤) عن الحكم بن نافع ــ وهو أبو اليمان ــ بالإسناد نفسه، مختصراً، وصححه ابن حجر في الإصابة (١٠/ ٣٨٢) وانظر الأنساب للسمعاني (٢/٤٤ دار الفكر) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٦، ١٣٧).

السنة جاريةً إلى هذا العهد في جميع البلاد الإسلامية في الاستسقاء ، كما أنه لا يـــزال طلـــب الناس الدعاء من الخيار، ومن بعضهم بعضاً، كما كان الصحابة رضـــوان الله علـــيهم يطلـــبون منه الدعاء في حياته ﷺ بل قال لعمر لما خرج معتمراً: (لا تنسنا يا أُخَيَّ من دعائك) .[١]

ومن هذا الباب: استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء ثم ينتهون إليه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم. فإنها[٢] هي طلبهم من الأنبياء أن يدعو ا الله تعالى أن يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف .

وحقـــيقة الشفاعة المأذون فيها: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخـــلاص والتوحيد فيغفر لهم عقب دعاء الشافعين الذين أُذن لهم في المشفوع لـــه، لـــيكرمهم على حسب مراتبهم . وينال نبينا ﷺ منه المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون[٣].

وأمـــا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٤] فقال في الكشاف في تفسيره[٤] :أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلاّ بشرطين:

١ ـــ أن يكون المشفوع له مرتضى .

٢ـــ وأن يكون الشفيع مأذوناً له .أ.هـــ.

---

(١) أخرجه أبو داوود (الصلاة ـــ باب الدعاء ـــ ٢/ ١٦٩ رقم: ١٤٩٨) والترمذي (الدعوات ـــ باب(١١٠) ـــ ٥/ ٥٢٣رقم: ٣٥٦٢) وقال : حسن صحيح، وابن ماجه (الحج ـــ باب فضل دعاء الحاج ـــ ٢/٩٦٦ رقم: ٢٨٩٤) والبيهقي (٥/٢٥١) وفيه عاصم بن عبيد الله العمري: ضعيف، وأشار إلى تضعيف الحديث العظيم آبادي صاحب عون المعبود (٤/٣٦٦) وضعفه الألباني (ضعيف أبي داود ص: ١٤٧) وغيرهم.

(٢) كذا في الأصل ؛ ولعل الصواب : فإنما.

(٣) انظر جلاء العينين (ص:٤٤٤)

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري (٤/١٣١) دار الكتاب العربي.

وبالجملة فقد كان ﷺ يشفع لأمته بدعاء واستسقاء واستغفار في حياته، ويطلب منه أصحابه ذلك، فلما لحق بالرفيق الأعلى لم يطلب منهم أحد شيئاً من ذلك. وستطلب منه جميع الأمم ذلك يوم القيامة، ويكون لأمته منه النصيب الأوفر عند حصول الإذن له من الله تبارك وتعالى كما وعده به ؛ من ذلك المقام المحمود .

فقد امتاز الله تعالى عن ملوك الدنيا في الشفاعة بأنه لا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه، فهو مالك لها لا تطلب إلاّ منه سبحانه وتعالى.

قال السويدي ـ كما نقله عنه في جلاء العينين ـ[1]: (فينبغي لمن أراد أن يدعو بطلب الشفاعة أن يقول: اللهم لا تحرمني شفاعته عليه الصلاة والسلام، اللهم شفعه فيّ ونحو ذلك[2]. ولو كانت تُطلب منه ﷺ الآن لجاز لنا أن نطلبها أيضاً ممن وردت الشفاعة لهم، كالقرآن [3]، والملائكة والأفراط [4]، ـ وهم أطفال المؤمنين ـ والحجر الأسود، إذ قد ورد أنه يشفع لمثل ربيعة ومضر، وبالصالحين [5]. ولجاز لنا أن ندعوهم ونلتجيء إليهم ونرجوهم بهذه

---

(١) جلاء العينين (ص: ٤٤٦)

(٢) في الجلاء : وأمثال ذلك.

(٣) ورد في صحيح مسلم (صلاة المسافرين وقصرها رقم: ٨٠٤): " اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه..." الحديث، من حديث أبي أمامة الباهلي.

(٤) روى مسلم (٤/ ٢٠٢٩رقم: ٢٦٣٥): عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم "صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال: أبويه ـ فيأخذه بثوبه، أو قال: بيده ـ كما آخذ أنا بصنفة ـ أي طرف ـ ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال: لا ينتهي ـ حتى يدخله الله وأباه الجنة.

(٥) روى البخاري (التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ـ ١٣/ ٤٣١ رقم: ٧٤٣٩)، ومسلم (الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية ـ ١/ ١٦٧ رقم: ٣٠٢) من

الشفاعة؛[إذ لا فرق بين الجميع بثبوت أصل الشفاعة][1] لهم والإذن فيها، فنصير إذن والمشـــركين الأولـــين في طريق واحد، ولم نفترق إلاّ بالأعمال الظاهرة، كالصـــوم والصلاة وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها، ومن غير اعتقاد لحقيقتها، ولا يقدم على ذلك من له أدنى مُسْكَة[2] من عقل أو فكرة فيما صح من النقل). انتهى.

وقـــد بـــيّن أن جلّ أحوال المشركين من آلهتهم التوكل عليهم، والالتجاء إليهم بشفاعتهم ظناً منهم أنها نافعة عنده تعالى. فارجع إليه إن شئت .

قال الهندي: (وأيضاً قال: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين** » [3] كأنـــا أُمرنا باتباع سنته، ومن كانت سنته رضي الله عنه الدعاء من الله تعالى بتوســـل الأولـــياء ، كأنما أمرنا بابتغاء التوسل بالأنبياء عليهم السلام والأولياء العظام . فيه أسرار خفية ؛ يدق فهمها للأذهان الركيكة، إلاّ من كان له من الله تعالى قلب سليم وطبع مستقيم).

أقـــول : أنظـــر إلى هذه العبارات الركيكة فلعلك تفهم من المقال وجملة الكلام: أن هذه أشبه بمقدمات منطقية. كأنه يقول: سنة عمر في التوسل ثابتة، وقـــد قال ﷺ : (**عليكم بسنتي**) ألخ . فسنة عمر مأمور باتباعها كسنته ﷺ ،

حديث أبي سعيد الخدري، في حديث الشفاعة أن الملائكة والنبيين والمؤمنين يشفعون. وأما ما ورد عن الحجر الأسود فلم أجده. وهناك أحاديث تدل على شفاعته لمن استلمه بحق.

(١) ما بين معقوفتين من جلاء العينين (ص: ٤٤٦) وفيه : لافرق بين الجمع.ولعل الصواب ما أثبتناه. والله أعلم.

(٢) مسكة بالضم أي بقية (مختار الصحاح ص:٦٢٤ــ٦٢٥).

(٣) رواه أحمد (١٢٧/٤،١٢٦) وأبو داود (السنة ــ باب لزوم السنة ــ ١٣/٥ــ١٤ رقم: ٤٦٠٧) والترمذي (العلم ــ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ــ ٤٣/٥ رقم: ٢٦٧٦) وصححه، وابن ماجه (المقدمة ــ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ــ ١٥/١ ــ١٦ رقم: ٤٤،٤٣،٤٢) وغيرهم كثير، صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٣/١).

ونحـــن نقـــول كذلك: نعمت السنة ونعم العمل بها من غير زيادة عليها، ولا تصـــرف فـــيها، ولا إخـــراج لها عن محلها . فكل من عمل عملاً لم تجر عليه الصحابة فهو مردود على صاحبه، وبئست البدعة تتولد عنها بدع ويتسع الخرق عـــلى الراقع . فانظر ماذا تولد من القول بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين بعد ممـــاتهم !! وماذا حدث من تشييد القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام ــ كما قال الشوكاني ــ منها اعتقاد الجهلة كاعتقاد الكفار بالأصنام، وعظم ذلـــك فظـــنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقاصد لطلب قضاء الحوائج والمطالب وسألوا منها مسألة العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال واستغاثوا بها.

وبالجملة لم يَدَعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومـــع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشَكُّ معه أن كثيراً من القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: إحلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رَزء للإسلام أشد من الكفر؟ وأي بـــلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعـــدل هذه المصيبة؟ وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً؟

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشَكُّ معه أن كثيراً من القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: إحلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رَزء للإسلام أشد من الكفر؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟ وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً؟

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

وانظر إلى قوله:(إن في التوسل بالأنبياء والأولياء؛ أسرار خفية، يدق فهمها إلا على صاحب القلب السليم) فلو كان له قلب سليم لم يتفوه بهذا الكلام السقيم؛ المشعر بأنه لم يسلم من شائبة الشرك الوخيم، ولم يذق حلاوة الإخلاص لربه العليم، فكل إناء بما فيه ينضح، وقد أشرنا سابقاً إلى شيء من تلك الأسرار الدقيقة عند الأذهان الركيكة، فتأمل وانظر كيف فاتت الأسرارُ الصحابةَ ومن بعدهم وخُص بها هذا الهندي أو غيره ممن حذا حذوه.

قال الهندي: (يا شيخ ما لكم أن تقعون في المسائل الدينية عليكم بيان ثمن الـــرز والأقمشة، ما علينا إلا البلاغ هذا كلام بطريق الإيجاز والاختصار، وما خطر لي الآن بال والله أعلم بحقيقة الحال).

أقول: من ذا الذي يمنع التاجر في الرز والأقمشة وغيرها من طلب العلم، والبحث مع أهله والإرشاد بقدر ما علم، حتى يكون عاملاً به؟ أليس ذلك من واجب العلم؟ كما قال ﷺ: « **من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم** » [1] وكيف ينمو العلم مع الإنسان إذا لم يذاكر به، ويرشد إليه لكن بمقدار ما عنده، ولا يتاجسر على القول بما لا يعلم مثل هذا الرجل الهندي الذي جعل نفسه في عـــداد الأنبياء، فقال: ما علينا إلا البلاغ، وهو يلحن في كلامه ولا يفصح عن مرامه، وكيف يروي الحديث من لا يعرف علم العربية؟ فأقل درجات المبلغ أن يكون مقتدراً على إفهام مُخاطَبه عن علم لا عن جهل، وأعلاها أن يكون مؤثراً علـــيه آخذاً بمجامع قلبه، مخاطباً لوجدانه، مستخدماً لعقله، مقيماً له الحجة مع صدق الحال. أما هذا الهندي فليس عليه البلاغ، بل عليه البُلغة بالتعلم والوقوف عند ما يعلم، ولا يزيد عليها ما لا يعلم.

ولا يحـــرم العلم على من يطلب العلم، ويرغب فيه، ويذاكر أهله، ويرشد جاهله، تاجراً كان أو فقيراً، سيداً كان أو عبداً، وعلى هذا الهندي ترك الدعوى فإنهـــا فضيحة، وإن كانت صحيحة. قال بعضهم: الدعوى تطفيء نور المعرفة، فالعالم الصادق من يتأدب بآداب العلم ويقف عند حده، ويكل العلم إلى عالمه، ويقـــول: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤] وكلما انفتح له باب من العلم تصاغر في نفسه.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/١٤ـــ ١٥) من حديث أنس بن مالك، وهو حديث موضوع كما قال ذلك أبو نعيم، والألباني (١/ ٦١١رقم:٤٢٢ الضعيفة)

قال الهندي: (العاقل يكفيه الإشارة والغافل لا تنفعه النقارة.

مصراع من الشعر:

لن يصلح العطار ما أفسده الدهر.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين)

أقـــول: أتـــى بهذا المثل (العاقل تكفيه الإشارة) تمويهاً على السامع بأن علمه واسع وأن ما ذكره نقطة من بحرٍ على حسب الإشارة. مع أن هذا يخالف مـــا أورده في أول الرســـالة: بأن فيها البراهين القاطعة والحجج الساطعة، وهو المطابق لاعتقاده، والواقع في نفس الأمر أن ما ذكره هو غاية مبلغه من العلم في هذا المقام وهو أعظم ما عند غيره، ممن حذا حذوه، ونقل عنهم.

وقـــد بينا بحمده تعالى الجواب على تلك الشبه بياناً شافياً، وبسطنا القول عما يتعلق بها فكان وافياً كافياً، يستعين به من طالعه على دفع معظم ما أورده صاحب كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق لبعض أهل العصر[1].فإنه لم يكـــبِّر حجمه إلا بالنقول المتكررة في معناها، والحكايات المتضمنة للاستغاثة، والأشعار التي فيها، وكان عليه أن يستوفي حقها وينقل ما فيها عن الشيخين ابن تيمـــية وابـــن القيم، ثم يرده حرفياً فإن كتبهما انتشرت الآن في الآفاق، وأقبل

---

(١) هـــو يوسف بن إسماعيل النبهاني الشامي خرافي مبتدع، له شعر في المدائح النبوية فيه توسلات واستغاثات وغلو وهجاء لأهل السنة.كان قاضياً في محكمة الحقوق الكبرى في بيروت ، صنف شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، وجامع كرامات الأولياء؛ حشاه بالخرافات، ولد بقرية إجزم ـــ بصيغة الأمر ـــ بفلسطين ١٢٦٦هـــ.وتوفي في رمضان سنة ١٣٥٠هـــ انظر ترجمته: معجم شيوخ الفاسي (ص:١٦١) والأعلام للزركلي (٢١٨/٨)

عليها الحذاق، وعسى أن بعض إخواننا يكفينا المؤونة في رده خدمة للحق والحقيقة وعشاقها والله يوفق لا إله سواه[1] .

وأما قول الهندي: مصراع شعر: لن يصلح العطار ما أفسده الدهر:

فلم ندر ماذا قصد به ولا نعيب عليه تكسير الشعر، فإنه لا يعرف النحو فضلاً عن العروض، ولعله يعني التجارة، فليوازن بين كلامنا وكلامه، وليجب صاحب التجارة إن كان عالماً، ونحن مستعدون لقبوله إن ظهر الحق معه ومناقشته الحساب إن أخطأ الصواب، « **فالحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها** » [2] ولسنا نقول له:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

ولا نقول:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولكن نقول: من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، ونعمل إن شاء الله بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي

---

(١) وقد رد عليه العلامة محمود شكري الآلوسي رحمه الله بكتابه :غاية الأماني في الرد على النبهاني، مطبوع. وكان قد شرع في تأليفه في أول رمضان سنة ١٣٢٥هـ وانتهى منه في منتصف الليل لإربع وعشرين ليلة خلت من شوال من السنة نفسها. أي في أقل من شهرين في مجلدين كبيرين، وكان فتحاً مبيناً، وغيثاً مغيثاً، قرظه كبار العلماء وشكروه تأليفاً نفيساً. انظر غاية الأماني (٣٧٧/٢)

(٢) رواه الترمذي (العلم ــ باب ما جاء في فضل العلم على العبادة ــ ٤٩/٥رقم:٢٦٨٧) وابن ماجه (الزهد ــ باب الحكمة ــ ١٣٩٥/٢ رقم:٤١٦٩) وقال الترمذي: غريب... وإبراهيم يضعف في الحديث. وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي (ص:١٩١)

هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥] والله أعلم وصلى الله على سيدنا (١) محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) قال الوالد أيده الله: محمد ﷺ هو سيدنا وسيد ولد آدم، ولكن الصحابة الكرام الذين أعلن الله رضاه عن إسلامهم وإكمال الدين لهم كانوا يقولون: رسول الله ونبي الله أو يقولون: محمد ﷺ، ولم يقولوا : سيدنا ولا كان هذا التعبير مستعملاً بينهم، هذا هو المعلوم، ومن ادعى جديداً في الدين فعليه البيان، فمن إكرام الله المؤمنين بالتقوى أن تكون لهم في صحابة رسول الله ﷺ السابقين المقربين المرضيين أسوة حسنة، كما كان لهم رضي الله عنهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. والله الهادي الأكرم سبحانه وتعالى، الهادي إلى سواء السبيل. والله أعلم.

الخاتمة

قـــد ظهر مما قررناه أن السنة في التوسل بأسمائه تعالى وصفاته، والأعمال الصالحة للداعي المتوسل، وبدعاء الصالحين ــ كما في الاستسقاء[١] ــ وقد تبين لك عذر المانعين من التوسل بالأنبياء والصالحين بعد الممات، وأنهم لم يقصدوا إلا سدَّ الذريعة والوقوف عند نصوص الشريعة، وأن القائلين بالتوسل بالذوات ليس لهم دليل إلا ما ورد من أن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما، وقال: كنا نتوسل إليك بنبينا ألخ، وقد علمت أن ذلك في حياتهما وأنه من قبيل طلب الدعاء من الأخيار، ومثل ذلك ما في حديث الأعمى، وحديث الشفاعة، وليس محـــل النزاع؛ إنما هو بعد موت الذوات، وأما قياسهم لها على الأعمال أو حال الحياة؛ فمردود لوجود الفارق، وهو مظنةُ الفتنةِ والاستدراج في الغلو بالتعظيم، مع أن العبادة بالتوقيف من الشارع.

لا بد من سبب بين السائل والمسؤول به، ومجرد ذوات الأنبياء والصالحين، ومحـــبة الله لهـــم وحصول الجاه لهم عنده، ليس بها ما يوجب حصول مقصود السائل كما سبق.

وأما قول الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي[٢] في فتواه بعد مقدمة: فمن قال: اللهم إني أتوسل إليك برسلك وأنبيائك ونحو ذلك،

---

(١) في الأصل: الإستقاء.

(٢) الحنفي ، وقيل: الشافعي،عالم مكة ومسندها، كان ممن درس الحديث في المسجد الحرام، وتقلد الفـــتوى في مكة لمدة سنة أو أقل ثم استعفى منها، صنف ثبتاً في مروياته عن شيوخه؛ اسمه:=

فإنما يريد باجتبائك وارتضائك واصطفائك واختصاصك إياهم بالرسالة والنبوة ونحـو ذلك، وهكذا صفات أفعاله تعالى، فالتوسل بها ليس توسلاً بغيره تعالى وحينـئذ لا فرق بين النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء ولا بين كونهم أحياءً وأمواتاً[1] أ.هـ.

فالجواب عنه من وجهين:

الأول: أنـه لـيس كل قائل ذلك يعتبر هذا الاعتبار[2]، وأن الكلام على حذف مضاف، بل لا بد أن يلحظ معه بقلبه توسطهم في قضاء حاجته، وأنهم

=مدارج الإسناد الذي عليه الآن المعول والاعتماد، كان رحمه الله ممن يذكر عنه الجود والكرم وإسـعاف المحـتاجين، توفي سنة ١٢٤٧هـ وقيل: ١٢٤٩هـ بالطاعون، انظر: المختصر من كتاب نشر النَّور والزهر (٢/ ٣٣٠ـ ٣٣١) وفهرس الفهارس للكتاني (٢/٧٩٦ دار الغرب) ومعجم المؤلفين (٧/ ٢٩٣ـ مكتبة المثنى)

(١) قال الشيخ محمد عبده ت: ١٣٢٣هـ ـ١٩٠٥م. في فتواه في التوسل: إن لفظ (الجاه) الذي يضـيفونه إلى الأنبياء والأولياء عند التوسل، مفهومه العرفي هو السلطة، وإن شئت قلت: نفاذ الكـلمة عند من يستعمل عليه أو لديه، فيقال: فلان اغتصب مال فلان بجاهه، ويقال: فلان خلص فلاناً من عقوبة الذنب بجاهه لدى الأمير أو الوزير مثلاً. فزعم زاعم أن لفلان جاهاً عند الله بهذا المعنى، إشراك جلي لا خفي. وقلما يخطر ببال أحد من المتوسلين معنى اللفظ اللغوي، وهو المنزلة والقدر. على أنه لا معنى للتوسل بالقدر والمنزلة في نفسها، لأنها ليست شيئاً ينفع، وإنما يكون لذلك معنى، لو أُوِّلت بصفة من صفات الله، كالإجتباء والإصطفاء، ولا علاقة لها بالدعـاء، ولا يمكن لمتوسل أن يقصدها في دعائه. وإن كان (الآلوسي) بنى تجويز التوسل بجاه الـنبي ﷺ خاصة على ذلك التأويل. وما حمله على ذلك إلا خوفه من ألسنة العامة، وسباب الجهال. وهو مما لا قيمة له عند العارفين، **فالتوسل بلفظ الجاه مبتدع بعد القرون الثلاثة. وفيه شـبهة الشـرك والعياذ بالله، وشبهة العدول عما جاء به الرسول ﷺ، فَلِمَ الإصرار على تحسين هذه البدعة؟ أ.هـ.**

انظر هذه الفتوى كاملة في تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل(٨/٣١٦).

(٢) بـل لا يكاد يخطر على بال أحد من علمائهم فضلاً عن عوامهم، وهو تأويل متكلف لا يقبله المتوسـلون أنفسهم فضلاً عن مانعي التوسل بالذوات. جرّهم إلى ذلك إلزامهم بمحاذير عدة، منها:=

يشفعون له عند ربه ويقربونه إليه، وهذا ما نحاذره، فإن تخصيصهم بالذكر مظنة الفتـــنة كمن يخص قبر وليه بالنحر عنده قائلاً: إن هذه صدقة عني أو عن روح هذا الولي، فلم خص النحر بهذا الموضع؟ ولم خصص هذا الولي دون غيره؟ فإن لسان الحال يقول: (وفي النفس حاجات وفيك فطانة [(١)]).

الوجـــه الـــثاني: أن ذلك إن جاز في التوسل بالأولياء هكذا إجمالاً، بغير تعييـــنهم فلا يجوز في المعين بدعوى أنه ولي، لأنه لا يجوز الحكم على أحد أنه ولي الله، فإنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله كما في تفسير الحافظ ابن كثير.

١ـــ شبهة الشرك.
٢ـــ كونه دعاءً مبتدعاً
٣ـــ كونه قسماً على الله بأحد من خلقه.

ونقول للذين يؤولون التوسل بالذات أو بالجاه، بأنه توسل باصطفاء الله واجتبائه...، قد أقررتم أن المعنى المتبادر للذهن مرفوض ومحظور، فلم لا تنبهون الناس عالمهم وجاهلهم إلى هذا المعنى المرفوض؟. وهذا غير موجود.

وإذا نبهتموهم على فساد المعنى المستقر في قلوبهم، فلم تقرونهم على استعمال هذه اللفظة التي هي موطن الشبهة، وفي الواقع أنكم لن تستطيعوا أن تنزعوا هذا المعنى من قلوب الناس إلا بإزالة أسبابه، ولا خير في دعاء يسبب معاني باطلة، والشرع لم يأت بألفاظ محظورة، أو تُوهم ذلـــك، بل جاء بسد كل ذريعة، ثم نقول لهم أخيراً: بدل أن تعلموهم المعنى السليم من اللفظ الســـقيم عـــلموهم الدعـــاء المشروع الذي أولتموه إليه، وهو: اللهم باصطفائك واجتبائك لأنبيائك، ولا تجعلوا لأيديكم صلة.

(١) قال الشوكاني رحمه الله في آخر رسالته الدر النضيد (ص:١٨٩ـــ الرسائل السلفية) ما ملخصه: يقـــال للذي يمشي إلى القبر ويدعو الله عنده ويتوسل به إلى الله؛ يقال له: لم ذهبت إليه؟ فإن قال: فإن قال: إنما مشيت إلى قبره لأشير إليه عند التوسل، فيقال: إن الذي يعلم السر وأخفى لا يحـــتاج مـــنك إلى هذه الإشارة التي زعمت، فما أراك مشيت لهذه الإشارة بل مشيت لتسمع الميـــت توســـلك بـــه، **وتعطف قلبه عليك، وتتخذ عنده يداً بقصد زيارته**، والدعاء عنده والتوســـل به، وأنت إن رجعت إلى نفسك فربما تقر لك بذلك وتصدقك الخبر، فإن وجدت ذلك فاعلم أنه قد علق بقلبك ما علق بقلوب عباد القبور.

فــإذا علمت أن أمر العبادة بالتوقيف والاتباع كما سبق، فالوقوف عند المـــأثور والعمل به نور وجلاء لما في الصدور، وفي الأدعية الواردة الكفاية، فما أحسن الوقوف عندها، والدعاء بما لا خلاف فيه أفضل بالإجماع، ومن أسباب قبولــه. وكــيف نتوسل بالأنبياء والصالحين ولم نتابعهم؟ فقد خالفناهم بهذا التوســـل المبتدع الذي لم يُشرَع وكيف ندّعي حبّهم ولم نتابعهم؟ والله يقول: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ [1] [آل عمـران:٣١] فلم يكن بيننا وبينهم هذا السبب الذي يربطنا بهم، ويسوغ الوسيلة.

وبمجــرد سؤال الله بهم وبجاههم من غير اتباع لما جاء به الرسول لا ينفعنا. فسؤال الله بأحد من خلقه مكروه كراهة تحريم على الأصح، كما قال به جمهور العـــلماء لما فيه من الإقسام على الله بخلقه، وهو تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات فشأنه عظيم سبحانه وتعالى.

وأمـــا ما ثبت في الصحيح عنه ﷺ من أنه قال: « **رب أشعث أغبر ذي طمــرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » [2] فهذا من باب الحلف بـــالله ســـبحانه ليفعلن هذا الأمر، فهذا إقسام عليه تعالى به، ليس إقساماً عليه بمخلوق.

---

(١) في الأصل: فاتبعون.

(٢) روى نحوه مسلم (البر والصلة ــ باب فضل الضعفاء والخاملين ــ ٥/٢٠٢٤ رقم:٢٦٢٢) و (الجــنة ونعيمها ــ باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء ــ ٥/ ٢١٩٢ رقم: ٢٨٥٤) مــن حديث أبي هريرة. وورد من حديث حارثة بن وهب، رواه البخاري (التفسير رقم:٤٩١٨ والأدب رقم:٦٠٧٢ والأيمان والنذور، رقم:٦٦٥٧) ومسلم (الجنة ونعيمها، رقم: ٢٨٥٣) ولفظه: " ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره...".

على أن الأمر في التوسل بالأنبياء والصالحين سهل[١] إذا لم يتجاوزه إلى غيره، فإن أصل وَضْعه هكذا: أتوسل إليك يا الله بجاه الأنبياء، أو بحقهم أو ما أشبه ذلك مع توجيه الطلب إلى الله منه سبحانه، ولكن القول بذلك استدرج الناس إلى الخروج عن هذا الحد وأدى إلى العكوف حول القبور ودعاء أصحابها لجلب الفوائد، وكشف الشدائد، وأخذ تربتها تبركاً وإسراجها وتخليقها وغير ذلك كما قال اليماني[٢] :

أعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث وودّ بئس ذلك من ودّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من بَحيرة	أهلت لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائفاً عند القبور مقبِّلاً	ويلتمس الأركان منهن بالأيد[ي]

فترى أحدهم قد اتخذ اسم وليه ذكراً على لسانه من دون الله إن قام وإن قعد وإن عثر، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله ووسيلته إليه، وهكذا كان عباد الأصنام، اتخذوا تماثيل الأنبياء والملائكة وسائل ووسائط يدعونها ويرجونها لتشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم وتقربهم منه زلفى، ولم يعتقدوا فيها الضر ولا كشفه ولا إمساك الرحمة عنهم.

قال في الإقناع وشرحه[٣] من كتب الحنابلة: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعاً لأن هذا كفعل عابدي الأصنام قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] أ.هـ.

---

(١) بل وعر وشائك ــ وقد تقدم الكلام عن محاذيره ــ نعم سهل بالنسبة للشرك.

(٢) محمد بن إسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام، في قصيدته التي مدح فيها الإمام محمد بن عبد الوهاب، وانظر هذه الأبيات في عنوان المجد (ص:٥٤)

(٣) انظر الإقناع (٤/٢٩٧)

فالطامة الكبرى هو دعاء غير الله الذي يسميه علماء السوء توسلاً واستغاثة، فإن الدعاء عبادة خاصة به تعالى، لا يجوز صرفه لغيره كالسجود والذبح وغيرهما، ولم يرد في نوع من أنواع الكفر والردة من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه، والتحذير من فعله والوعيد عليه، فكم فيه من آيات صريحة؛ قال تعالى ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾ [الزمر:٤٩] الآية ، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر:١٣] وقال ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الشعراء:٢١٣] وقال ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ [الرعد:١٤] ولو لم يكن في القرآن إلا مجرد طلبه من خلقه لكان ذلك كافياً في كونه عبادة، فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غيره تعالى، وقد توعد خلقه على الاستكبار عن الدعاء ، كما جعل جزاءه الإجابة لما أمرهم فقال ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] والاستكبار هو تركه لأن الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة، فإن تاركه إنما تركه لأجل أن يستكبر عن العبودية، ولا يتحقق الدعاء إلا إذا كان الداعي معولاً بقلبه على تحصيل مطلوبه، فمن دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله أو جاهه أو أقاربه أو أصدقائه أو جدّه أو اجتهاده أو وليه فهو في الحقيقة ما دعا الله إلا بلسانه، أما بالقلب فهو معوّل على تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا العبد ما دعا الله — كما قال ذلك بعض المفسرين — فلا شك أن الدعاء من أجلّ الطاعات وأعظم العبادات بجميع معاني العبادة الاصطلاحية واللغوية؛ فإنها نهاية الخضوع والتذلل.

قال بعضهم: "إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من دعاء ورجاء وتوكل وصوم وزكاة وصلة رحم وبر"(١)".

وقال الفقهاء: (كل ما أُمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي).

وفي الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « **الدعاء مخ العبادة** »، وللترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الدعاء هو العبادة** » ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] قال الترمذي: حديث حسن صحيح(٢). قال الشارح(٣):معنى قوله ﷺ: « **الدعاء هو العبادة** » أي خالصها، لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص. إنتهى .

فمن صرف هذه العبادة لغير الله بأن دعا ميتاً أو غائباً طالباً منه ما لا يقدر عليه إلاّ الله من قضاء حاجة أو تفريج كربة فقد أشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته السنية لما تكلم على حديث الخوارج :(٤) «فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه قد انتسب إلى الإسلام من قد مرَق من الدين مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب في هذا الزمان قد يمرق أيضاً، وذلك بأمور منها:

---

(١) انظر كتاب العبودية لابن تيمية (١٠/١٤٩ مجموع الفتاوى)

(٢) تقدم تخريج الحديثين (ص: ٥٥).

(٣) انظر فيض القدير (٣/ ٥٤٠)

(٤) انظر الوصية الكبرى (٣/٣٩٥ــ مجموع الفتاوى)

الغلو الذي ذمه الله، كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي[١] بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية؛ بمثل أن يدعوه من دون الله بأن يقول: يا سيدي فلان أغثني، أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلاّ قتل ، فإن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر ، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزيراً والصالحين أو قبورهم ؛ لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق أو ترزق، وإنما كانوا يدعونهم ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] فبعث الله الرسل تنهى أن يدعوا من دونه نداًّ لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ». إنتهى.

فعلى هذا من يعتقد فيمن يدعوه النفع، وأنه له قدرة على إجابة المضطر وإغاثة الملهوف، وقضاء حوائج السائلين يكون أشركه في الربوبية، وذاك لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية من الأميين والكتابيين، بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفاً وتدبيراً. فإلى الله المشتكى من أناس يُدخلون في باب التوسل دعاء غير الله مما يجري على ألسنة العامة، ويدافعون بالمكابرة ويكذبون الوجدان والمحسوس، ويخدعون أنفسهم، ويغررون بخلق الله.

ولم أرَ من أولئك المدافعين مَنْ تنازل إلى القول بتحريم ذلك إلاّ القليل، منهم: علاّمة ثغرنا الشيخ علي باصبرين الشافعي الحضرمي نزيل جدة[٢] .

---

(١) هو عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى، أحد المشاهير، أصله من بعلبك، انتقل إلى بلد الهكارية من أعمال الموصل ، وتبعه أهل السواد والجبال، وبالغوا في تقديسه. ت: ٥٥٧هـ.
انظر السير (٢٠/ ٣٤٢). وله عقيدة جيدة، مطبوعة بتحقيق شيخنا الفاضل المحقق حمدي السلفي.

(٢) هو الشيخ العلامة علي بن أحمد بن سعيد أبو صبرين الحضرمي الشافعي؛ اتخذ مدينة جدة سكناً بعدما طلب العلم في مصر وحضرموت،ففتح الدروس والحلقات وربى ناساً كثيرين،وكانت له=

قـــال رحمــــه الله في كتاب إرشاد كُمّل العبيد لخالص التوحيد ما نصه: والذي أراه ــ وهو الحق الذي عليه إن شاء الله المعول ــ في المسألة الأولى: أن من قال يا رسول الله مثلاً وهو يعلم أن المدعو ليس له شرك في الملك ولا التأثير ولا التدبير، ولا في إعانة على تحصيل شيء من المنافع ولا دفع شيء من المضار، ولا تحصـــل شفاعة عند الله له من الغير ولا لغيره منه، إلا بإذن الله ، ولا يملك لنفســـه ولا يدفع عنها فضلاً عن غيره موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا نفعاً ولا ضراً، ولا عزاً ولا ذلاً، ولا غنىً ولا فقراً، ولا نصراً ولا قهراً، مع كونه جازماً أنّ شفاعتَه وسؤالَ الشافعِ والسائلِ له عند الله لا يغير شيئاً مما في علم الله ثبوتاً أو نفـــياً، فإن ما سبق في علمه تعالى لا يتغير بدعاء ولا شفاعة داع أو شافع، وإنمـــا فائدة الدعاء والشفاعة حينئذ امتثال الأمر والتلذذ بخطابه تعالى[1] ، وما

=كلمة مسموعة عند ولاة الأمر، ومن تلاميذه: ولده العلامة أحمد باصبرين، والعلامة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، انظر ترجمته: علماء جدة من الحضارمة (مخطوط:ق:١).
وانظـــر فيض الملك المتعالي (مخطوط) في ترجمة الشيخ خوقير حيث جعل من شيوخ ابن عيسى عـــلي با صبرين. والله أعلم. وفيما يظهر أنه رجع رجوعاً كلياً إلى مذهب السلف وممن أثبت ذلـــك، العلامة محمد بن عثمان القاضي، في كتابه روضة الناظرين (١٦٩/١) حيث ذكر أن رجوعـــه عن الأشعرية كان على يد تلميذه (صالح العبد الله البسام؛ ت: ١٣٠٧هـــ) وذكر ذلك أيضاً مؤرخ نجد العلامة شيخ القضاة عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، في كتابه (نجد خلال ثمانية قرون ٢/ ٤٩٦ الطبعة الجديدة المزيدة) والله اعلم.

(١) الدعـــاء مـــن الأسباب المأمور بها وهي من قدر الله تعالى، فالذي لايدعو يفوته ما يريد ويحب بخـــلاف ما لو دعا فإنه يستجاب له فيكون من القدر، أو يؤجر إن لم يستجب له ... فقول الشيخ هنا فيه ما فيه، ومما فيه: أن الدعاء لاينفع صاحبه إلا من ناحية الأجر، وفيه تزهيد ــ من حيـــث لا يشعر ــ بالدعاء ، إذ ان لجوء الناس إلى الله بالدعاء دفعهم إليه ضرورتهم وحاجتهم إليه، فإن قلنا : إن فائدة الدعاء امتثال الأمر والتلذذ بخطاب الله تعالى فوتنا على الذين لايجدون هـــذه اللذة في الدعاء وخصوصاً في السراء، إذ ليس هناك ما يدفعهم إلى الدعاء، ولكن لوقلنا كمـــا في الحديث ((لايرد القدر إلا الدعاء...)) وهو من القدر لكان أولى، وإنما جرّالشيخ إلى ذلك ــ والله أعلم ــ مسألة تغيّر القدر، وما قد كتب في اللوح المحفوظ.انظر عن هذه المسألة شرح الطحاوية، ط٥،(ص:١٤٩ ــ ١٥٢) . والحديث أخرجه أحمد (٢٧٧/٥، ٢٨٢) وابن=

شـــرع الدعـــاء إلا وقد أعدّ الإجابة وفق مراده تعالى وعلمه، ولا يرى[1] أن المدعـــو أرحم أو أرأف أو أجود أو أكرم أو أستر أو أسمع من الله تعالى لدعائه ولا مـــثله ـــ لا يكفر ولا يشرك: الكفر والشرك الجليين المخرجين له من دائرة الإسلام والإيمان؛ اللذين [2] هما حصن من خلود الجحيم، لأن مجرد دعاء غيره تعـــالى لا يوجب الكفر الجلي ، وإنما فيه تفصيل يرجع إلى الداعي والمدعو إليه، فـــإن سلمت عقيدة الداعي كما ذكرنا نظر إلى المدعو إليه، فإن كان مما جرت العـــادة فيه أن لغير الله فيه ـــ بحسب الظاهر ـــ دخلاً ، كأن قال عطشان: يا فلان أسقني ! أو عاجز عن الركوب يا فلان احملني على دابتي، أو من أقبل عليه عدوه لأخيه: انصرني على عدوي، أو أغثني ؛ جرت فيه الأحكام الخمسة[3] لا الكفـــر الجلي، وإن كان مما لا دخل فيه لغير الله ؛ كـــ يا فلان وفقني! أو اغفر لي ذنـــوبي! أو أدخلـــني في غدفـــتك[4]، أو اشـــتر أبي لئلا يموت، فهذا كله ونحوه،كأجرني من الله، أو من عذاب الله، أو أسعدني: مما يحرم التفوه به مطلقاً، وهو الشرك الخفي، ولا يخرج عن الدين، ويزجر ويعزر مرتكبه هذا مع سلامة عقيدته الباطنة[5]، وإلا فهو كافر مطلقاً ـــ قال أو لم يقل ـــ لا فرق بين المدعو

=ماجـــه (١/٣٥ رقم:٩٠) والحاكم (١/ ٦٧٠ رقم:١٨١٤) وغيرهم، صححه الحاكم وأقرّه الذهـــبي، وصححه المنذري، وحسنه العراقي كما في زوائد ابن ماجه، وحسنه الألباني أيضاً، وانظر في تخريج الحديث: فرائد القلائد لملا علي القاري، تخريج الأخ مشهور سلمان (ص:٢٦ ـــ ٧٢)

(١) أي الداعي

(٢) في الأصل: الذين.

(٣) الأحكام الخمسة: المباح، والمندوب، والواجب، والمكروه، والحرام.

(٤) يقال: هم في غَدَف،أي: نعمة وخصب وسعة.وغَدَف له في العطاء:أكثر.(انظر القاموس المحيط ص:١٠٨٦)

(٥) يقصـــد ما ذكره سابقاً، من أن الداعي يعتقد أن المدعو ليس له شرك في الملك ولا التأثير ولا الـــتدبير، ولا في إعانة على تحصيل شيء من المنافع...ألخ .قلت: وسلامة المعتقد التي ذكرها لا

بين أن يكون حاضراً أو غائباً، حياً أو ميتاً ، رسولاً أو نبياً أو غيرهما، ذا روح أوْ لا ؛ لما في تلك الألفاظ من إيهام غير واقع، إذ لا يطلب ذلك إلا منه كالحفظ من المكروهات، والشفاء من الأمراض، ودفع الأسقام، والنصرة الدائمة على الأعداء.

وإن كان مما تجري العادة بطلبه من المخلوق مع سلامة عقيدة الداعي، وإمكان حصوله بإذن الله من المدعو ؛ كـ يا فلان اشفع لي عند ربي، وأسألك الشفاعة عند ربي ـــ مطلقاً ـــ أو في حصول كذا، مما يجوز طلب حصوله من(١) الله عز وجل فلا كفر جلي ولا خفي!(٢) نعم ؛ هو خلاف الأولى، والأولى هو اللهم شفع فيّ فلاناً بفضلك وإحسانك، وأحسن منها: اللهم بجاه فلان افعل لي

يتصور وجودها من داعي غير الله، لأنه إن لم يظن أن للمدعو أثراً في إجابة الدعاء فلمَ يدعو؟ قال الشوكاني رحمه الله (الدر النضيد ص:١٦٤ مع الرسائل السلفية): ((وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدعُ أحد منهم ميتاً أو حياً عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر، قائلاً: يا فلان افعل لي كذا وكذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك))

(١) كذا في الأصل: ولعلها : من غير الله.

(٢) قلت: لا شك إن كان الميت هو المسؤول أن هذا لا يجوز بحال، بخلاف من سأله بحال حياته لأن الطلب من الميت بدعة كفرية ما أنزل الله بها من سلطان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤] فلو سأل المدعو في حال حياته لجاز مثلما سأل ربيعة الأسلمي رضي الله عنه نبي الله ﷺ فقال: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: « أو غير ذلك؟ » قلت: هو ذاك، قال: « فأعني على نفسك بكثرة السجود » رواه مسلم (كتاب الصلاة ـــ باب فضل السجود ٣٥٣/١ رقم:٤٨٩) وحينئذ تكون شفاعة المسؤول بالدعاء والأسباب المؤدية للمطلوب، والله أعلم .

أو بي كذا وكذا[١] . وأجلّ (وأعلى) وأعظم التشفّع والتقرب والتوسل إليه تعالى بذاته، وصفاته وأفعاله، والإقسام بهن عليه تعالى.أ.هـ.

وقال في موضع آخر: وإنما إطلاق اللفظ الموهم حرام فقط مع صحة العقيدة وهو الشرك الخفي، أعني مطلق معصية. وليس ذلك شركاً جلياً مخرجاً لقائله عن دائرة الإيمان والإسلام، كقوله: شيء لله يا عمودي مثلاً، والحملة على الله، أو حامل الجوار الله، أو ما صدقت بالله يحصل أو يندفع لي أو عني له، أوانظر إلى فعل القدرة، أوالقدرة فعالة، أو بحق فلان على الله، أو يسأل من النبي أو من غيره ما لا دخل في تدبيره لغير الله تعالى، كقوله: يا فلان اهدني، اغفر لي، أصلح أعمالي، اشفني، ارزقني، أمطرنا، ومن ذلك يا ولي الله جئنا إليك، وحططنا الذنب بين يديك، فإن هذه ألفاظ موهمة في ظاهرها، فإن أضيف إلى ذلك فساد العقيدة فهو الكفر الجلي وإن سلمت سلم من الكفر الجلي وبقي عليه إثم الإتيان باللفظ الموهم المعبر عنه بالشرك الخفي انتهى بحروفه[٢] .

---

(١) كيف يكون أحسن منها وهو دعاء ما عرفه السلف الأولون باعتراف كبراء المتوسلين وفيه خلاف قوي مشهور بين العلماء والدعاء الأول ــ المفضول على حسب رأيه ــ أولى إذ لاخلاف فيه بل فيه النجاة من الوقوع في المحظور والبدعة.

(٢) ما ذكره من أمثلة بعضه لا يدخل تحت الشرك الخفي، بل هو شرك جلي، كمن يطلب من غير الله شيئاً لا يقدر عليه إلا الله كاغفر لي، واشفني، وجئنا إليك، وحططنا الذنب بين يديك..، فهذا لا يمكن أن يصدر عمن لا يظن بالداعي شيئاً من التأثير أو الشفاعة، أو غير ذلك، فالذي يطلب من غير الله المغفرة، أو الرزق لو لم يؤمن أن المدعو يستطيع أن يستجيب له إما بفعله وإما بشفاعته فلم يدعوه؟ قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ ﴾ [الأحقاف،آية:٥] فعادت المسألة إلى المنع الذي قرره الشيخ علي باصبرين، قال ابن تيمية رحمه الله(التوسل والوسيلة ص:٢٤ــ٢٥): ((فيقول أحدهم: ياسيدي فلاناً أو ياسيدي جرجس، أو بطرس، أو يا ستي الحنونة مريم ...وقد يخاطبون الميت عند قبره، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً حياً وينشدون قصائد يقول أحدهم فيها: ياسيدي فلاناً أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة... سل الله أن

فانظر إلى تلك العقيدة الصحيحة التي أشار إليها في أول كلامه، وانظر إلى حال من تصدر منهم تلك الألفاظ، وإلى ما قدمناه وإلى ما نقله هذا بنفسه عن الشيخ عبد الخالق المزجاجي[1] الزبيدي[2] ما نصه: وقد قال تعالى في إثر سماء: **« أصبح من عبادي مؤمن وكافر، أما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال: مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب »** [3]وقد ذهب العامة هذا المذهب في الأولياء فإن مرضوا قالوا: هذا من فلان، وإن شفوا قالوا: بركة سيدي فلان، فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله ونذروا لهم من دون الله واستسقوهم من دون الله، فإن أجرى الله تعالى الوادي قالوا: شيء لله يا فلان، وإن قبض عنهم المطر، قالوا: حمقة فلان، والله سبحانه القابض الباسط المحيي المميت، وكل شيء بيده من ملك وملكوت، ولو ذهبنا نتكلم في الكتاب والسنة من التحذير عن ذلك لكان يرى الناس قد هلكوا ولهذا تراهم أكثر أتباع الدجال فافهم هذه الجملة انتهى....

يغفر لي... فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك)). وانظر إلى ما سيأتي من قول المزجاجي، فإنه مهم، وانظر ماقرره المؤلف في هذا الكتاب حول هذه القضية (ص:)، وانظر ماكتبه الشوكاني في رسالته الدر النضيد، وليعلم أن المؤلف حينما نقل عن باصبرين هذه العبارات لم ينقلها مقراً لها بل نقلها ليدلل أن من العلماء من رجع من القول بالجواز إلى القول بالتحريم مع التفصيل المذكور أعلاه.

(١) في الأصل: الزجاجي، والتصويب من مصدر الترجمة الآتي؛ والمزجاجي نسبة إلى مزجاجة موضع بالقرب من زبيد باليمن، ملحق البدر الطالع لابن زبارة (١١٢/٢)

(٢) الشيخ عبد الخالق بن الزين بن محمد بن الصديق المزجاجي الحنفي الزبيدي ، أخذ عن علماء الحرمين ، ووصل إلى صنعاء وأخذ عنه محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، وغيره، مات في صنعاء سنة ١١٥٢هـ. انظر ملحق البدر الطالع لابن زبارة (١١٤/٢)

(٣) أخرجه البخاري (الأذان ــ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ــ ٣٨٨/٢ رقم:٨٤٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (الإيمان ــ باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء ــ ٨٣/١ رقم:٧١)

فإن قيل: فما تقول فيما جاء من ذلك في أشعار الخاصة من أهل العلم والأدب والفطنة ممن تصدى لمدح النبي ﷺ والصالحين، مما لا يأتي عليه الحصر ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدة.

فالجواب: أن ذلك لم يقع من قائله إلا لغفلة وعدم تيقظ ولا مقصد له إلا تعظيم جانب النبوة والولاية، ولو نُبِّه لتنبه، ورجع وأقر بالخطأ، والشعر مبناه على المبالغة التي تخرج صاحبها عن الحد. وإذا كان القائل قد صار تحت أطباق الثرى فينبغي إرشاد الأحياء إلى ما في ذلك الكلام من الخلل، ليحصل به التنبيه والتحذير لمن كان له قلب و ألقى السمع وهو شهيد ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨] كما قال ذلك الإمام الشوكاني في الدر النضيد في إخلاص التوحيد[١]، وينبغي نشره بلسان الطبع، وكذا كتاب تطهير الاعتقاد للسيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وكذا كتاب تجريد التوحيد للإمام المقريزي، صاحب الخطط، وكذا كتاب سيف الله على من كذب على أولياء الله، لصنع الله الحلبي الحنفي[٢].

وينبغي لفضلاء العصر التفنن في الإرشاد إلى ذلك الموضوع بتأليف الرسائل الكثيرة ونشرها بين الناس، كما رأينا ذلك من بعض أرباب الهمم العلية كثّر الله أمثالهم. كما أنه ينبغي لولاة الأمور وفقهم الله بعث الدعاة إلى البادية، وأطراف البلاد، لنصح العامة وإرشاد الجهلة، وسد الذرائع المفسدة، وقطع عروق البدعة.

---

(١) الدر النضيد (١٧١ ـ ١٧٢ مع الرسائل السلفية)

(٢) وقد طبعت كل هذه الكتب إلا الأخير منها، ثم طبع في العدد السابع عشر من مجلة الحكمة، بتحقيق الأخ الفاضل: علي رضا ـ كما تقدم ـ ثم طبع مفرداً.

ولنختم هذه العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيِّب المكي[1] في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها.

قـال حرسه الله ووفقه: الأمر أنه ينبغي أن يُعتَقد أنه لا تصرف لغير الله، سـواء كان ذلك التصرف ابتداءً أو مترتباً على تصرف آخر، كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر، وهذا هو القول بالأسباب، ولكن مع الاعتراف بأن الله قـادر عـلى خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا[2] لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ﴾ [النحل آية:٤٠] الآية وأيضاً فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3] [سبا آية:٢٢] لا هبةً ـ كما تزعمه كفار قريش حيـث يقولون لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ـ، ولا كما تـزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله، ولا كما تزعمه غلاة المـنهمكين في الأولـياء من أن لهم التصرف، وأن الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهـم يولون ويعزون ويذلون... ولا أصالة ولا قائل به ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبا آية:٢٢] بخلق شيء من أجزاء العالم، وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذ العبد لو خلق فعله لكان له في العالم شرك في الجملة ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبا آية:٢٢] ردٌّ عـلى الفلاسفة القائلين بتوسط العقول، وعلى كل من يرى مثل ذلك الرأي ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبا آية:٢٣] ردٌّ على الذين يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا عنده زلفى، وعلى القائلين: إن الصالحين الذين

---

(١) لعلـه: محمـد الطيب بن محمد صالح بن محمد عبد الله العلوي، المكي؛ فاضل مشارك في علوم متنوعة، ولد بمكة وانتقل إلى شرق إفريقية ثم إلى مسقط ثم إلى الهند والتقى بمشايخ الهند وطلب العلم على أيديهم، توفي سنة:١٣٣٤هـ ١٩١٦م (معجم المؤلفين١٠/١١٠ مكتبة المثنى)

(٢) في الأصل : أمرنا.

(٣) جاء في الأصل:والأرض.

نذهـــب إلى قبورهـم ونستجير بهم، ونستغيث وإن لم يكونوا مُلاّكاً ولا ظُهَراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبا آية:٢٣] فكيف لنا معرفة من أذن له فإن نهاية ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي ﷺ والأنبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة بعـــد الإذن، وبعـــد قـــول [١] الأنبياء: (نفسي نفسي)، ما عدا نبينا ﷺ[٢]، ولم يثبـــت أنهـــم يشـــفعون في كل مهم، بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمـــه[٣]، وأيضاً من أخبرنا بأنهم أحباب الله، على أن الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك بأني أشفع لك، ومع ذلك لو قال: (أشفع) لا ندري هل تقبل شفاعته أم لا، والدعاء مقبول قطعاً إما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة [٤].

على أنه من القواعد الشرعية: أن من أطاع شيئاً أو عظمه بغير أمر الله، ذمه الله وغضب عليه ــ كما سنقرره ــ وأيضاً من التوحيد الذي يحتاج فيه إلى الرسل: تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [النســـــاء آية:٣٦] ﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ [يوســـــف آية:٤٠] ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا

---

(١) في المنار (مجـــ٩/جـــ١١/ ٨٢٤ وما بعدها) حيث قرّظ الكتاب ونقل عنه بعضه: " أقوال".

(٢) انظر حديث الشفاعة في البخاري (الأنبياء ــ باب قول الله عزوجلّ ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا ﴾ ــ ٦/٤٢٨ رقم:٣٣٤٠) وفي مواضع أخر ، ومسلم (الإيمان ــ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ــ ١/١٨٤ رقم:٣٢٧). وأحاديث الشفاعة متواترة.

(٣) اختلف العلماء في الأموات هل تسمع من الأحياء أم لا؟ وقد صنف في ذلك العلامة نعمان خير الدين الآلوسي كتاباً سمله: الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات. وانظر مـــاقدم بـــه شـــامة الشام العلامة المحقق محمد ناصر الدين الألباني، حفظه الله ووفقه ونفع به وبعلومه.آمين.

(٤) أخرج الإمام أحمد (٣/١٨) والحاكم (١/٤٩٣) وصححه ووافقه الذهبي: " ما من مسلم يدعو بدعـــوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها" قالوا : إذاً نكثر. قال: "الله أكثر".

تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [الأحقاف؛آية:٤] ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن؛آية:١٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [الأعراف؛آية:١٩٤] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: (**يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا** [(١)] **سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**) رواه الترمذي وقال حسن صحيح[(٢)]، ورواه الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك، فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه كمن قال: يا شيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله، وهذا الدعاء منع عنه الشارع إذ لا يستعان إلا بالله ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[(٣)]

واعلم أن من أطاع من لم يأمر الله بطاعته، أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه، فأطاعه مطلقاً؛ فإن الله سمى ذلك المطيع عابداً لذلك المطاع ومتخذه رباً، قال الله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [(٤)] [يس؛آية:٦٠] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [مريم؛آية:٤٤] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾ [التوبة؛آية:٣١] ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان؛آية:٤٣] .

---

(١) في المنار :إذا.

(٢) أخرجه الترمذي (صفة القيامة ــ باب(٥٩) ــ ٤/٥٧٥ ــ ٥٧٦ رقم:٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣،٣٠٣،٣٠٧) (٤/ رقم:٢٦٦٩ ، ٢٧٦٣ و٥/ رقم: ٢٨٠٣ الأرناؤوط) وأبو يعلى في مسنده (٤/٤٣٠ رقم:٢٥٥٦) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٤٢٥/١٥٠) والبيهقي في شعب الإيمان (١/٥١٤ رقم:١٩٢) وغيرهم كثير من طرق عدة.وانظر كلام ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٧٧ ــ ١١٦ منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض، سنة١٩٨٢م.)

(٣) في الأصل :إياك ، بلا واو.

(٤) هكذا في الأصل : والآية :أن لا تعبدوا

فـــإذن ليس لأحد أن يعبد غير الله، ولا أن يدعوه وليس العبادة إلا نهاية الخضوع، والدعاء مخ العبادة.

وأما من قال: أتوسل، أو بحق، فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً، ومنهم مـــن يجعله مكروهاً، كما نص عليه في الهداية، ومنهم من يجيز التوسل بالأحياء دون الأمـــوات، كمـــا فعله عمر رضي الله عنه، ومنهم من يخصه بالنبي ﷺ، ومـــنهم من يجيزه، وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا، وقد وقعت فيه شبهة فـــتركه أولى من هذه الحيثية، وسداً للذرائع، لأن الجهلة لا يفرقون بين التوسل والاستشـــفاع، والطلب من المتوسل به مع أن الا ستشفاع لا يكون إلا في يوم مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز.

ولو تأملت الأدلة الواردة بالتجويز مع ضعفها فإنها لا تفيد إلا جوازه بالنبي ﷺ، فهـــو الوسيلة المقطوع بقربه من الله تعالى، وأما غيره فما يدرينا به، ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي ﷺ ويتوسل بغيره، جعلنا الله وإياكم من المتبعين لا مـــن المبتدعين انتهى. وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة يا شيخ عبد القادر شيء لله.

ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند أبحاث شريفة في هذا المقام لا نقدر على إيرادها في هذه العجالة[1] أما أهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات

---

(١) فمـــن **أهل بغداد والعراق**: صنف علي بن محمد السويدي العقد الثمين؛ وشرحه ابنُه، وصنف نعمان الآلوسي جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، وصنف محمود شكري الآلوسي: فتح المنان، وغاية الأماني في الرد على النبهاني، ولجده أبي الثناء مقتطفات في كتبه.

ومن علماء الشام: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ت:١٠٣٢هـــ، والعلامة السفاريني ت:١١٨٢هـــ ومن أشهر كتبه لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية، وصنف صنع الله الحنفي الحلبي سيف الله على من كذب على أولياء الله.

الكثيرة، وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي، ولقد قال بعض السادة من أهل حضرموت: لو لم يقيض الله أولئك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور كافة، ولم يحصل من العلماء إنكار ولا أَخْذٌ ورَدٌّ ولم تتحرك لذلك الأفكار.

وأما ما دار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم، ووصل إلى ديارهم فجرأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة إلا بالله، ومن نظر في كتبهم عرف ما يفتريه الناس في حقهم، وأن مرجعهم في الأحكام والاعتقاد إلى كتب السنة والتفسير ومذهب الإمام أحمد وطريقة الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فلهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الألباب، وهذه كتبهما قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحاكم بينهم بما وصل إليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فإن الزمان قد ارتقى بالإنسان، كما يقتضيه الرقي الطبيعي، فمزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به إلى الحكم بما في الصدر الأول، والطبع العربي، ولقد تنازل في المحاكمة من يحاكم بين غير الأقران، والمعاصرين في الزمان.

ومن علماء اليمن: محمد بن إسماعيل الصنعاني، والنعمي في كتابه معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، والشوكاني، وغيرهم.

ومن علماء الهند: ولي الله الدهلوي، وحفيده: الشاه إسماعيل الشهيد، وتلميذه المحدث نذير حسين الدهلوي شيخ الكل، وبشير السهسواني في كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان، وغيره من كتبه، وصديق حسن خان في كتابه الدين الخالص، وغيره ، وغيرهؤلاء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين(١) : فإذا ظفرت(٢)برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل، محكم له، متبع للحق، حيث كان وأين كان، ومع من كان، زالت الوحشة وحصلت الألفة، ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرك، والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة، ويكفرك أو يبدعك بلا حجة، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة، وسيرته الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب، فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم.

واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو: العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأودي: »صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت[من] بعده أفقه الناس: عبد الله بن مسعود، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة فإن يد الله على(٣) الجماعة، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيلي(٤) عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن(٥) مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة ، قال: قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونه(٦)، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة، قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت

(١) في الأصل: الوقعين، وانظر أعلام الموقعين (٣٩٦/٣ ــ ٣٩٨)، وكل ما بين معقوفات منه.
(٢) في الأصل : أظفرت.والتصويب من الأعلام.
(٣) في الأعلام: مع.
(٤) في الأعلام: سيولى.
(٥) في الأصل: على، والتصويب من الأعلام.
(٦) في الأعلام: تحدثون.

أظنك من أفقه أهل هذه القرية! تدري[1] ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى)[2] .

وقال نعيم بن حماد: « إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا[3] وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ » ، ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث[4] وقد ذكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري من السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي[5] وأصحابه، فمسخ (المتخلفون) الدين وجعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عياراً على السنة، وجعلوا[6] السنة بدعة، والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا:من شذّ شذّ الله به في النار، وما عرف(المتخلفون)[7]

---

(١) في الأعلام: أتدري.

(٢) رواه اللالكائي (١٠٨/١ ــ ١٠٩ رقم:١٦٠) والبيهقي في المدخل (كما في الباعث لأبي شامة ؛ ص: ٢٦ــ ٢٧ ــ بشير عيون)

(٣) في الأعلام: تفسد.

(٤) هو إسحاق بن راهويه. انظر حلية الأولياء (٢٣٨/٩ ــ ٢٣٩)

(٥) قال عنه أبو نعيم:أحواله مشتهرة مشهورة، وشمائله مسطرة مذكورة، كان بالآثار مقتدياً، وعن الآراء منتهياً، أعطي بياناً وبلاغة وزهداً وقناعة، نقض على المخالفين بتبيانه، وأقبل على تصحيح شانه إ.هــ. له كتاب في الرد على الجهمية، وكتاب الإيمان في الرد على المرجئة، كتاب جامع كبير، أدرك جماعة من التابعين. المرجع السابق.

(٦) في الأصل:جعل، والتصويب من الأعلام، والمنار.

(٧) هكذا في الأصل في الموطنين؛ وجاء في الأعلام: المختلفون.

أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان عليه الناس كلهم[1] إلا واحداً منهم، فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل، إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم [هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس، قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين! أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم] على الباطل، وأحمد وحده على الحق، فلم يتسع علمه لذلك، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع[2] لأهل السنة والجماعة، حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب؛آية:٢٣] انتهى.

ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم: أبو شامة [3] قال في كتاب البدع والحوادث[4]: وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه

---

(١) في الأعلام: الناس كلهم عليه.

(٢) مهيع : كمقعد؛ الطريق البيّن.(القاموس المحيط ص:١٠٠٤)

(٣) هو العلامة الحافظ الإمام المؤرخ المقريء النحوي :عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو محمد وأبوالقاسم المقدسي ثم الدمشقي، المعروف بأبي شامة ـ لأن شامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر ـ ، شيخ دار الحديث الأشرفية، صاحب المصنفات العديدة المفيدة، منها الباعث على إنكار البدع والحوادث، وله كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، والذيل عليه، وله الرد إلى الأمر الأول، وشرح الشاطبية شرحاً نفيساً ، سمع من ابن قدامة وغيره من كبار الفقهاء والحفاظ، توفي سنة ٦٦٥هـ إثر ضرب من عصابة هجمت على بيته. انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٦٠ـ ١٤٦٢) والبداية والنهاية: (١٣/ ٢٥٠ـ ٢٥١)

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص:٢٦)

الجماعـــة الأولى من عهد النبي ﷺ. ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل[١] .

ومـــنهم الشـــعراني [٢]، قال في كتاب الميزان: قال سفيان الثوري: المراد بالســـواد الأعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً، وفي رواية عنه: لو أن فقيهاً واحداً على رأس الجبل لكان هو الجماعة أ.هـــ.

وحسبنا قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[النحل،آية:١٢٠] أي قام بما قامت به الأمة، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول[٣] : « إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً و لم يك من المشركين » ، تشبيهاً له بإبراهيم، كما قال الشاعر:

لـــيس عـــلى الله بمســـتنكر أن يجمـــع العـــالم في واحـــد

فليجتهد طالب الحق أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عـــن النبي ﷺ وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام يصلي من الليل: (**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض**

---

(١) غير موجود في القسم المطبوع من المدخل.

(٢) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، ويقال: الشعراوي، كان صوفياً خرافياً كبيراً، يدل عـــلى ذلـــك مصـــنفاته في الخرافة، مثل البحر المورود في المواثق والعهود، والطبقات الكبرى للصـــوفية، حيث وضع فيه من القصص والخرافات ما يندى له الجبين، ويأباه كل طبع سليم، وللشـــعراني علم في حديث النبي ﷺ ولذلك تظهر له عبارات في الاتباع وترك الابتداع، وهي حجة عليه وعلى أمثاله من المتصوفة وأهل البدع. توفي سنة ٩٧٣هـــ. انظر التاج المكلل (ص: ٤٥٨).

(٣) رواه ابن جرير (١٤/١٢٨ ـــ ١٢٩)، وانظر كلاً من تفسير ابن كثير (٢/٦١٢ـــ دار المعرفة) والاستيعاب (١٠/١١٣ـــ ١١٤ مع الإصابة ٩/٢٢٠ ـــ طه الزيني) أسد الغابة (٥/ ١٩٦ البنا وعاشور).

عـــالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما[١] اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[٢] .

تم تأليف هذا الكتاب لأربع بقين من شعبان سنة ١٣٢٤ من هجرة سيد المرسلين عليه الصلاة والتسليم، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم.

---

(١) في الأصل : ما .

(٢) رواه مسلم (الصلاة ــ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ــ ١/٥٣٤ رقم: ٧٧٠) وغيره.